

مقاصد متن المنهاج | الشرح المختصر | 01

تفريغ

المحتويات

مقدِّمة.

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله الذي له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه المصير، اللهمَّ صلِّ على محمدٍ عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

نستعين بالله ونستفتح هذا المجلس الذي نسألُ اللهَ سبحانه وتعالى أن يجعله مباركًا ومقبولًا، وهذا المجلس فيه التعليق المختصر على متن المنهاج من ميراث النبوة، وقبل أن أبدأ التعليق عندي مقدّمة مهمّة في وضع متن المنهاج في السياق؛ يعني لماذا أُلِّف هذا المتن وما سياقه وما -يعني- المرجو من تأليفه؟

سبب تأليف المتن.

حقيقةً هذا المتن يأتي ضمن مجموعة من المؤلفات ومجموعة من المواد التي أقدمها لهدفٍ معيّنٍ ولغاياتٍ محدّدةٍ، وهي تأتي ضمن قضية المنهج الإصلاحي، واحتياج المسلمين اليوم واحتياج العاملين اليوم إلى الاستمداد من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ما يكون مُعينًا لهم على تحديد خارطة الطريق فيما ينبغي أن نعمله في الواقع من جهة الإصلاح والانتهاض بحال أُمَّتنا، وذلك أنَّ مِن المسلَّمات أنَّ في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ الجواب والهداية في هذا الباب؛ أعني في باب الإصلاح في كل زمن من الأزمان ،فلا يمكن أن يأتي على الأُمَّة زمان تأتي عليها فيها أزمات ومشكلات ولا يكون في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ المخرج والهداية تجاه هذه الأزمات والمشكلات، ومن أعظم أنواع الهداية أن يُهدَى الإنسان لمعرفة ما الذي ينبغي عليه في العمل والإصلاح والدعوة من جهة كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ونحن نعلم أنَّ في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ لم يأتِ النص على كل زمان من الأزمان التي بعد النبي ﷺ، أليس كذلك؟

يعني لا يوجد إرشادات في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ أنه من عام كذا إلى عام كذا فأولويات الإصلاح وأولويات...، لا يوجد في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ ذلك، ومن تطلَّب منها مثل هذه الأمور المحدّدة فقد تكلَّف، ولكن في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ الهداية الكافية والتامة لمن يريد أن يعرف ما المطلوب وما الواجب وما الأولويات في الإصلاح في كل زمن من خلال القواعد العامة التي في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ، ومن خلال ضرب الأمثال وذكر النماذج التي تشابه حالنا وتشابه واقع كل مرحلة من التاريخ.

يعني ذَكَر الله سبحانه وتعالى في كتابه وذكر النبي ﷺ في سنّته قَصصًا وأمثالًا، هذه القَصص والأمثال بمجموعها يمكن للفقيه وللمتدبر ولمن يفتح الله عليه أن يقيس حال زمانه بالأحوال التي ذكرها الله سبحانه وتعالى، وبالتالي يمكنه أن يُنزِّل على واقعه.

موقع المتن وسياقه.

حسنًا، أين موقع المنهاج من ميراث النبوة؟

المنهاج من ميراث النبوة فيه مجموعة من الأبواب من كتاب الله؛ يعني مضمونها من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ جمعتها للمُسترشد المستهدي فيما ينبغي عليه أن يفعله وما ينبغي عليه أن يُراعيه في بناء نفسه ليكون؛

أولًا: ثابتًا مستقيمًا على أمر الله سبحانه وتعالى في مثل هذا الزمان، بمراعاة فتن هذا الزمان.

ثانيا: ليكون مُصلحًا مؤثرًا من جهة الدعوة لله سبحانه وتعالى والعمل الإصلاحي بما يمكنه، وأيضًا بمراعاة هذا الزمان.

يعني خلاصة الكلام أنَّ هذا المتن جُمعت آياته وأحاديثه بالنظر إلى مشكلات هذا الزمان؛ إما المشكلات الخاصة بالشاب أو بالإنسان المستقيم، وإما المشكلات العامة المتعلّقة بالواقع، فهذه آيات وأحاديث للمُسترشد المستهدي، لمن يسأل عن الثبات، لمن يسأل عن المنهج، لمن يسأل عن الاستقامة، لمن يسأل حتى عن الهداية الإصلاحية فيما يتعلق بالواقع بشكل عام، هذا تسييقٌ للكتاب أو للمتن ونسألُ اللهَ سبحانه وتعالى التوفيق والسداد.

المنهجيَّة المتبعة بالشرح المختصر.

بالنسبة لهذا طبعًا المتن أنا شرحته في -تقريبًا- ثلاثين مجلس أو ثلاثين درس وهي مطوّلة ومتوسعة ويمكن أن يُشرَح بما هو أوسع من ذلك، ولكن نظرًا لأهمية المتن وأهمية الآيات والأحاديث المجموعة فيه من هذه الجهة الكليّة؛ فهذا مجلسٌ للمرور السريع على هذه الأبواب ومحاولة استخلاص الفوائد الكليَّة للأبواب، خاصةً يعني هذا يوافق أنه نحن الآن عندنا برنامج واسع في حفظ وشرح المنهاج تحت عنوان نَمير الحفّاظ، وهذه فرصة للمشاركين في نَمير الحفّاظ أن يراجعوا أو يمرّوا على المتن مرورًا كُليًّا من جهة مقاصده ومن جهة كُليَّاته.

وستكون الطريقة كالتالي؛ سيقرأ الأخ مُعاذ إن شاء الله وسأقف مع كل باب ثلاث وقفات سريعة.

الوقفة الأولى مع عنوان الباب.

والوقفة الثانية مع الآيات؛ يعني سيقرأ الآيات ثم نقف لتعليق سريع على الآيات.

ثم الوقفة الثالثة مع الأحاديث.

فثلاث وقفات بإذن الله تعالى، ولن نقف عند كل آية وعند كل حديث، وإنما وقفة مُجمَلة إن كان هناك احتياج إلى الوقوف عند بعض الآيات بعينها ستكون في الوقفة الثانية، وإن كان هناك احتياج للوقوف على بعض الأحاديث بعينها ستكون في الوقفة الثالثة، لكن أنبّه مرة أخرى أنَّ هذا المجلس مقاصدي وليس مجلسًا تفصيليًّا؛ فالقصد هو الإلمام بمقاصد المنهاج، ومراعاة هذا السياق الذي ذكرتُه، وأعيده مرّة ثانية أو ثالثة باختصار شديد وهو أنَّ متن المنهاج جُمع للإنسان المؤمن المستهدي المسترشد الطالب أحد أمرين؛ الثبات والاستقامة باستصحاب مشكلات الواقع وفتنه، الأمر الثاني المتطلِّب للهداية الإصلاحية ولأولويات الإصلاح باستصحاب أيضًا مشكلات الواقع الذي نعيش فيه، فهو متنٌ موضوع لهذا الغرض. نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد.

توطِئة وتعليق الشيخ عليها.

الشيخ للقارئ: استعن بالله وابدأ بالمقدّمة.

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، قال المصنِّف –حفظه الله–:

- **توطئة:**

الحمد لله الذي أنعم علينا ببعثة النبي محمد ﷺ، وأكرمنا بأن جعلنا من أمته، وحفظ علينا ميراثه، وأبقى لنا أنوار العلم والرحمة التي بُعث بها، فكان ﷺ كما أخبر الله عنه: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} {صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}[1] وكان كذلك كما أخبر هو عن نفسه ﷺ بقوله: "مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللَّهُ به مِنَ الهُدَى والعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أصابَ أرْضًا، فَكانَ مِنْها نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وكانَتْ مِنْها أجادِبُ، أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأَصابَتْ مِنْها طائِفَةً أُخْرَى، إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللَّهِ، ونَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللَّهُ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ"[2]، فصلَّى الله عليه وسلم وبارك، وجعلنا من أهل سنّته، وأتباع رسالته، وحُماة ميراثه، والسائرين على دربه.

ثم أمّا بعد: فهذا متن يجمع قبسًا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، انتقيتُه من صحيح الأحاديث وصالِحِها، وانتخبتُ موضوعاته على نُسق منهجي، يراعي جوانب متنوعة مما يحتاج إليه المسلم في طريقه.

الشيخ: طيّب، أول شيء بالنسبة للمقدّمة الأولى فيها بيان أنَّ الغرض والقصد هو الهداية؛ الهداية من مجموع ما في هذه الآيات وما في هذه الأحاديث، وأنَّ الوحي إنما جاء لهذا المعنى، وهذا المعنى على بساطته وعلى يسره وعلى وضوحه إلا أنه من أعظم ما يمكن أن يستفيد منه

---

[1] [الشورى : 52-53].

[2] [أخرجه البخاري: 79، ومسلم: 2282]

طالبُ العلم في طلبه للعلم؛ أن تكون عينه دائمًا في الطلب متوجهة إلى الثمرة التي هي الهداية في الأساس؛ يعني كل مَن طلب العلم وقصد بطلبه العلم أن يهتدي به، كان قد أخذ بسبب من أعظم أسباب التوفيق في العلم، ومن غاب عنه معنى وثمرة الهداية وهو يطلب العلم فربما يَتيهُ في أودية العلم دون أن يصل إلى النتيجة وإلى الثمرة.

الشيخ: نعم.

الفرق بين صحيح الأحاديث وصالح الحديث.

القارئ: ثم أمّا بعد:

فهذا متن يجمع قبسًا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، انتقيته من صحيح الأحاديث وصالحِها..

الشيخ: طيب انتقيتُ من صحيح الأحاديث وصالحها؛ الأصل في الأحاديث الموجودة في المنهاج هي الصحّة؛ يعني مقصود أن تكون الأحاديث صحيحة، لكن يوجد بعض الأحاديث اليسيرة جدًّا يَصدُق عليها كلمة "وصالِحها"، أنها من صالح الحديث وليست من صحيحه. وصالح الحديث كلمة عند المحدثين تدلّ على ما يُقبَل على سبيل الاحتجاج أو ما يُقبَل على سبيل الاعتبار، وما يُقبَل على سبيل الاعتبار ربما يكون فيه شيء من الضعف ولكنه ليس ضعفًا شديدًا يؤدي إلى ردّ الحديث بالكليّة، وهذا المعنى الذي أراده الإمام أبو داوود في سُنَنه لما قال: وكلّ حديث سكتُّ عنه فهو صالح.

ماذا يقصد بصالح؟

أبو داوود حين يقول كل حديث سكتُّ عنه فهو صالح، طبعًا هذا ذكَره أبو داوود في رسالته هو إلى أهل مكة هو بنفسه يتكلم عنها عن منهجه.

طيّب وفي الحقيقة في سُنن أبي داود؛ أبو داوود سكت عن أكثر الأحاديث التي أخرجها، أكثر الأحاديث التي أخرجها سكت عنها ولم يتكلم عنها بشيء؛ معناها أنه عامة أحاديث أبي داوود صالحة، ماذا يقصد بصالح؟

هنا وقع الخلل عند البعض؛ بعضهم ظنَّ بكلمة "صالح" أنها تساوي كلمة "حسن" عند المتأخرين، لذلك يقولون حسَّنه أبو داوود؛ يقصدون أنه حسَّنه يعني توفَّرت فيه الشروط الخمسة التي هي؛ هو ما اتّصل إسناده برواية العدْل الذي خفَّ ضبطه عن مثله من غير شذوذ ولا عِلّة، وأبو داوود لم يقصد ذلك، بل قصد بالصالح ما كان صالحًا للاحتجاج وما كان صالحًا للاعتبار، فأصحُّ الأحاديث عند أبي داوود يسكت عنها وحتى ما كان فيه ضَعف يسير يسكت عنه.

فالمقصود هنا انتقيتُه من صحيح الأحاديث؛ الصحيح معروف ما يحتاج توضيح، وصالحها؛ المقصود ما كان صالحًا للاعتبار وهي أحاديث قليلة قد يكون فيها يعني شيء من اللين ولكنها يسيرة جدًّا، وستأتي إن شاء الله، وأهمُّها؛ يعني أوضحها حديث -وهو واضح- عن مالك أنه بلَغَه أنَّ عبد الله بن عمر فعل كذا..، فهذا بلاغ بين مالك وعبدالله بن عمر ولم يسمع مالك من عبدالله بن عمر، ولكن هذا من جملة الأمور اليسيرة خاصةً وأنه أثر موقوف وفي نفس الوقت هو في موطَّأ مالك، ومراسيل مالك تُعتبر عند العلماء قوية، وأمَّا عامة الأحاديث المرفوعة في الكتاب فهي صحيحة أو حسنة بالاعتبار الأخص.

النسق المنهجي المُتّبَع بالمتن.

القارئ: وانتخبتُ موضوعاته على نسق منهجي، يراعي جوانب متنوعة مما يحتاج إليه المسلم في طريقه الدعوي والإصلاحي من التزكية والأخلاق والمرجعية والدعوة والمسؤولية والعلم والعمل.

وقد حرصتُ في انتقاء الأحاديث على إبراز مركزيات الشريعة وأولوياتها، كما حرصتُ على أن يكون هذا المتن مناسبًا للحفظ مُيَّسرًا على مَن يقرؤه؛ ولذلك تجنَّبتُ إخراج طوال الأحاديث، وابتعدتُ فيه عن التكرار في الغالب، وانتقيتُ جُلَّ أحاديثه من الصحيحين، وتحرَّيتُ جودة أسانيد عامَّة ما كان خارجهما.

ولم أكتفِ بالأحاديث في الأبواب، وإنما سِرتُ على طريقة الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه في الابتداء ببعض الآيات القرآنية مما يوافق الحديث المختار ويعزِّز معناه، والآيات في هذا المتن مقصودة لذاتها، ولا يتم بناء معنى الأبواب بالأحاديث وحدها وإنما بالآيات الَمسُوقة معها.

الشيخ: نعم، وهذا منهج مهم في الاستهداء بالشريعة وفي التعامل مع الأحاديث النبوية؛ إنه ما يُكتفى في الباب بالأحاديث، كثير ممن جمع الأحاديث اعتنى بجمع الأحاديث وحدها خاصَّة في المتون المتأخرة التي أخذت من الكتب المسندَة، ومن المهم جدًّا حتى في باب بالمناسبة أبواب أدلة الأحكام؛ أحاديث الأحكام، من المهم أن يُجمع معها الآيات، فلا تكتمل صورة الباب إلا بالجمع بين الأحاديث والآيات.

والإمام البخاري -رحمه الله- مِن أهم مَن عمل هذا العمل، فقد حرص في صحيحه على أن يأتي بالآيات وبالأحاديث وإن كانت الأحاديث هي المقصودة، لكنه يأتي بالآيات وكذلك يأتي بالآثار الموقوفة والمقطوعة أولًا عن الصحابة ثم التابعين، وبهذا التكامل يعني تكتمل صورة الباب، وهذا من أفضل ما يمكن أن يُجمع في أي باب من أبواب الدِّين من جهة الآثار، وفي هذا المتن فيها هذه الثلاثة؛

أولًا الآيات، ثم الأحاديث، وفيها أيضًا الآثار الموقوفة عن الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم-، وطبعًا ليست بالترتيب؛ يعني قد يأتي مثلًا أثر موقوف ثم حديث مرفوع بعده لكن البداية دائمًا بالآيات.

الشيخ: نعم.

القارئ: وأسأل الله سبحانه في علاه أن يبارك في هذا المتن، وينفع به، ويُسهِّله على مَن يريد حفظه، ويتقبل منَّا جميعًا صالح العمل، إنه حميد مجيد.

بابٌ في مرجعيَّة الوحي وشموليته ومركزيَّة التسليم لله ولرسوله.

- **عنوان الباب وتعليق الشيخ عليه:**

القارئ: الباب الأول؛ بابٌ في مرجعيَّة الوحي وشموليته ومركزيَّة التسليم لله ولرسوله.

الشيخ: نعم، بدايةً بابٌ في مرجعية الوحي وشموليته ومركزية تسليم الله ورسوله؛ أهم منطلق ينطلق منه مَن بيَّنتُ أنه مقصود في هذا الكتاب؛ وهو الشاب المستهدي الطالب الثبات والطالب المنهج الإصلاحي؛ أن ينطلق من مرجعية الوحي وأن تكون مرجعية الوحي عنده مُعظَّمة، وأن يقابل هذه المرجعية بالتسليم والانقياد.

ومرجعية الوحي أول ما يدخل فيها كتاب الله سبحانه وتعالى، ثم يدخل فيها هدي النبي ﷺ ؛ فإنَّ النبي ﷺ كان يُوحَى إليه-كما هو معلوم- القرآن وأيضًا يُوحَى إليه من سنة النبي ﷺ، ومن جملة ذلك مثلًا كدلالة مباشرة؛ الأحاديث القدسية التي يقول النبي ﷺ فيها: قال الله تعالى كذا وكذا، إلى آخرِه. ليس هذا موضع الاستطراد في إثبات كون الوحي لا ينحصر في النص القرآني.

- **الآيات بالباب وتعليق الشيخ عليها:**

الشيخ: نعم.

القارئ: قال الله تعالى: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ}[3]، وقال سبحانه: {وإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} {لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ}[4]، وقال سبحانه: {وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا}[5] ، وقال سبحانه: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[6] ، وقال سبحانه وتعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

[3] [سورة النساء: 59].
[4] [سورة فصلت: 41-42].
[5] [سورة الرعد: 37].
[6] [سورة المائدة: 44].

ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[7]، وقال سبحانه: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}.[8]

الشيخ: نعم، هذه الآيات القرآنية فيها دلالة واضحة على تعظيم هذه المرجعية وأهمية التسليم لله ولرسوله ﷺ وهي متنوعة في طرق الإثبات والتأكيد، شيء منها في بيان المرجعية بشكل واضح، وأنَّ الفصل في النزاع هو في الردّ إلى الله وإلى رسوله، وقد أجمع العلماء كما نقله ابن حزم ونقله ابن القيم -رحمهما الله- أنَّ الردَّ إلى الله هو الردُّ إلى كتابه، وأنَّ الردَّ إلى الرسول ﷺ هو الردُّ إليه وإلى شخصه في حياته، والردُّ إلى سنَّته، ماذا؟

- بعد مماته.

▪ الأحاديث بالباب وتعليق الشيخ عليها:

الشيخ: نعم.

القارئ:

1. عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن القرآنِ: "كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، هو حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كانَ علَى الهُدَى، وَمَن تَرَكَهُ كانَ علَى ضَلَالَةٍ".[9]
2. عن أبي رافع رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم مُتَّكِئًا على أَرِيكَتِهِ يأتيه أمرٌ مِمَّا أمرْتُ به أو نَهيتُ عنه فيقولُ: لا أدري، ما وجدْنا في كتابِ اللهِ اتبعناه".[10]
3. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "مَن أطاعَنِي فقَدْ أطاعَ اللَّهَ، ومَن عَصانِي فقَدْ عَصَى اللَّهَ".[11]

---

[7] [سورة النساء: 65].
[8] [سورة الأحزاب: 36].
[9] [أخرجه مسلم :2408].
[10] [أخرجه أبو داود: 4605، والترمذي: 2663].
[11] [أخرجه البخاري: 7137، ومسلم: 1835].

4. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول في الخطبة: "أَمَّا بَعْدُ؛ فإنَّ خَيْرَ الحَديثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ".[12]

5. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لَمَّا نَزَلَتْ علَى رَسولِ ﷺ: {لِلَّهِ ما في السَّماواتِ وما في الأَرْضِ وإنْ تُبْدُوا ما في أنْفُسِكُمْ أوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ به اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَن يَشاءُ واللَّهُ علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ}[13]، قالَ: فاشْتَدَّ ذلكَ علَى أصْحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فأتَوْا رَسولَ اللهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا علَى الرُّكَبِ، فقالوا: أيْ رَسولَ اللهِ، كُلِّفْنا مِنَ الأعْمالِ ما نُطِيقُ، الصَّلاةَ والصِّيامَ والجِهادَ والصَّدَقَةَ، وقدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذِه الآيَةُ ولا نُطِيقُها، قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: "أتُرِيدُونَ أنْ تَقُولوا كما قالَ أهْلُ الكِتابَيْنِ مِن قَبْلِكُمْ سَمِعْنا وعَصَيْنا؟ بَلْ قُولوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وإلَيْكَ المَصِيرُ"، قالوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وإلَيْكَ المَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَها القَوْمُ، ذَلَّتْ بها ألْسِنَتُهُمْ، أنْزَلَ اللَّهُ في إثْرِها: {آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنْزِلَ إلَيْهِ مِن رَبِّهِ والْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ باللَّهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بيْنَ أحَدٍ مِن رُسُلِهِ وقالُوا سَمِعْنا وأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وإلَيْكَ المَصِيرُ}[14]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذلكَ نَسَخَها اللَّهُ تَعالَى، فأنْزَلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلَّا وُسْعَها لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخْطَأْنا}، قالَ: نَعَمْ، {رَبَّنا ولا تَحْمِلْ علَيْنا إصْرًا كما حَمَلْتَهُ علَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنا} قالَ: نَعَمْ، {رَبَّنا ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لنا بهِ} قالَ: نَعَمْ، {واعْفُ عَنَّا واغْفِرْ لنا وارْحَمْنا أنْتَ مَوْلانا فانْصُرْنا علَى القَوْمِ الكافِرِينَ}[15] قالَ: نَعَمْ"[16].

الشيخ: نعم، هذه الأحاديث هي مؤكِّدة لهذا الباب ومبيِّنة لما ينبغي أن نتعامل أو أن نصل من خلال مرجعية الوحي إليه؛ يعني الآن ما المطلوب منا تجاه هذه المرجعيَّة؟

[12] [أخرجه مسلم: 867].
[13] [سورة البقرة: 284].
[14] [سورة البقرة: 285].
[15] [سورة البقرة: 286].
[16] [أخرجه مسلم :125].

أولًا المطلوب أن نعتبرها هي المرجعية؛ أن نعتبرها هي الأصل المعصوم صاحب الحق الثابت الذي لا يمكن أن يقع فيه الخلل والخطأ، كما في الآية الثانية في هذا الباب {وإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} {لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ}؛ هذا أول مطلوب.

المطلوب أن نؤمن بكونها مرجعية صحيحة صالحة ثابتة، ولذلك مَن كان عنده إشكال في مرجعية الوحي فأول مطلوب عليه هو أن -يعني- يُخاطَب بـ..، أو أن يبحث عما يثبِّت هذه المرجعية في نفسه.

ومع الأسف نحن نعيش في زمن حصل فيه هذا الإشكال حتى بين كثير من المنتسبين للإسلام، أنه يقع في نفسه شيء من الشك أو الإشكال في اعتبار مثلًا السنة مرجعية، أو في اعتبار السنة من الحق الثابت؛ -السنة الصحيحة طبعًا بلا شك-، فهنا يمكن لنا أن نقول أنَّ أول مطلوب في مرجعية الوحي إذا كان هناك إشكال أو شكٌّ عند الإنسان هو تثبيت مرجعية الوحي وذكر دلائل صحتها وهذا المطلوب الأول.

طيب مَن لم يكن عنده شك في ذلك؟ هل يدخل في مثل ذلك؟

الدخول في تطلُّب البراهين المثبِّتة التي تزيد الإيمان واليقين لا إشكال فيه، بل هو أمر محمود.

وفي الحديث الثاني بيان أو إشارة إلى قضية التثبيت؛ الذي هو: "لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم مُتَّكِئًا على أَرِيكَتِهِ يأتِيه أمرٌ مِمَّا أمرْتُ به أو نَهيتُ عنه فيقولُ: لا أدري، ما وجدْنا في كتابِ اللهِ اتبعناه". الذين هم منكرو السنَّة، الذين ينكرون ما لم يأتِ في كتاب الله سبحانه وتعالى، هذا الحديث الثاني يشير إلى قضية التثبيت، هذا أولًا.

الأمر الثاني بعد التثبيت -بعد القناعة واليقين بأنَّ هذه المرجعية هي الحق- هو أهمية الإيمان بأنها شاملة، بالشمولية؛ الإيمان بأنَّ مرجعية الكتاب والسنة ليست مرجعية في باب من الأبواب وإنما هي مرجعية شمولية؛ مرجعية شمولية طبعًا فيما جاء الدين لأجله، ليست مرجعية شمولية في الطبيعيات مثلًا، ولا في التخصصات العلمية الدنيوية؛ فالقرآن والسنة لم يأتيا لذلك، وإنما فيما جاءا لأجله من مقاصد هداية الخلق وإرشادهم، فأهمية الإيمان بشمولية مرجعية الوحي.

ومن الأدلّة التي يستدل بها على الشمولية من هذه الآيات المذكورة والأحاديث هو؛ {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ}، ووجه الشمولية ما هو؟

فإن تنازعتم في شيء، جيد؟

جيد، هو هذا من حيث اللفظ، ومن حيث المعنى أن.. ها؟

نعم، أن موضوعات التنازع التي تحصل بين الناس هي موضوعات شاملة ومتنوعة وواسعة؛ فالتنازع هذا هو مطلوبٌ أن يَرُدَّ المتنازعون الأمرَ إلى الله وإلى الرسول ﷺ، وسياق الآية طبعًا أتى في قضية الأمراء، فإن تنازعتم في شيء أنتم وهم يعني فردُّوه إلى الله والرسول، وهذا دليل على أنَّ مرجعية الكتاب والسنة أعلى من أي مرجعية أخرى سواء كانت الأمراء أو حتى من أهل العلم، دائمًا المرجعية هي كتاب الله وسنة النبي ﷺ؛ لأن هي نفس الآية هذه التي فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}.

طبعًا هذه الآية من باب آخر من أكثر إذا لم تكن أكثر آية يستدلّ بها الشيعة على عصمة الأئمة وطاعتهم وما إلى ذلك، وفي هذه الآية الردُّ عليهم؛ في هذه الآية نفسها التي يستدلُّون بها ويُكثرون الاستدلال بها الردُّ عليهم التي هي {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ} أنتم وهم سواء فسرتموها على الأئمة ولا على غيرهم، في الأخير الآية تقول {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} وهذا دليل على أنَّ هذه هي المرجعية المطلَقة، وأنَّ ما سواها من المرجعيات هي مرجعية دون ذلك.

فأول شيء التثبيت، ثم الإيمان بشموليتها، ثم التعظيم، وهذا التعظيم يوجب إلى الثمرة الرابعة، التي هي إيش؟

التسليم والانقياد، وهذه فيها آية {ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

والآية الأخيرة {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}.

ثم بعد ذلك طبعًا الاهتداء الواسع بهذه المرجعية في مختلف الأبواب، وفيها حديث "من اتَّبعه كان على هدى"؛- من اتَّبع القرآن كان على هدى-، وكذلك في بيان الهدى في الشقِّ الآخر الذي هو السنَّة "وخير الهَدي هَدي محمد" وبعضهم قرأها "وخير الهُدى هُدى محمد" ﷺ.

الحديث الأخير في الباب هو حديث عجيب وعظيم في طبيعة تلقّي الصحابة للوحي وتعظيمهم له، وأنَّ الآية لم تكن تمرُّ عليهم مرورًا عاديًّا، ولأجل ذلك لما نزلت هذه الآية التي فيها {وإنْ تُبْدُوا ما في أنْفُسِكُمْ أوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ به اللَّهُ} اشتدَّ ذلك عليهم ،ولم يكن ليشتدَّ عليهم إلا لماذا؟

نعم، إلا لأنهم أصلًا يتلقَّون هذا القرآن تلقّي مَن يؤمن به إيمانًا تامًّا، ويؤمن بكل شيء فيه، ويأخذه على أنه الحقُّ المطلَق التام، فلمَّا قرأوا هذه الآية خافوا من أن يكون هناك شيء مما في صدورهم على غير مراد الله فيُحاسبوا عليه، فقالوا للنبي ﷺ ما قالوا، وبركوا على الركب واشتدَّ ذلك عليهم ها؟

وقالوا أُمِرنا بالصلاة والصيام والجهاد والصدقة وهذه نُطيقها، لاحظوا فيها الجهاد الذي فيه إزهاق الأنفس، قالوا هذه نُطيقها! ولكن اشتدَّ عليهم ما يحيك في الصدور وما يتردد في النفوس، قالوا هذه لا نُطيقها؛ إذا حوسِبنا على ما في النفوس مما قد يَخطُر أو يمرّ فلا نُطيقه.

فأراد الله سبحانه وتعالى أن يختبرهم بهذا وأن ينقادوا له انقياد المؤمن، السؤال الآن هل الانقياد هنا انقياد في تطبيق شيء عملي أو انقياد في تسليم شيء قلبي؟

تسليم شيء قلبي؛ لأنه الآية ليس فيها أمر أو نهي؛ الآية فيها أنه {وإنْ تُبْدُوا ما في أنْفُسِكُمْ أوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُم به اللَّهُ} هذا الذي في الآية، صح؟

هم قالوا يا رسول الله ما نطيق هذا صعب يعني شيء..، فأراد الله أن يختبرهم بذلك فقط ليسلِّموا قلبيًّا بهذا المعنى، فلما سلَّموا بذلك نزل التخفيف، وأنَّ الله لن يحاسبهم على هذا الذي في الصدور، وهاتان أو هذه الآيات بقيت مع أنَّ الآية الأولى منها منسوخة تُعتبر، يعني طبعًا هي النسخ بالاعتبار العام؛ ليس باعتبار أنه رُفعت يعني، وإنما النسخ باعتبار

التقييد أو رفع دلالة بعض اللفظ، فعلى أية حال بقيت هاتان الآيتان من آخر سورة البقرة من أعظم آيات القرآن، وفيها من الفضل والمكانة الأمر العظيم.

ومن يقرأ الحديث في صحيح مسلم الذي فيه؛ "بيْنَما جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، سَمِعَ نَقِيضًا مِن فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فقالَ: هذا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليومَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إلَّا اليومَ، فَنَزَلَ منه مَلَكٌ، فَقالَ: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الأرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إلَّا اليومَ، فَسَلَّمَ، وَقالَ: أَبْشِرْ بنُورَيْنِ أُوتِيتَهُما لَمْ يُؤْتَهُما نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بحَرْفٍ منهما إلَّا أُعْطِيتَهُ."[17]

أنَّ بابًا من أبواب السماء فُتِح لم يُفتَح قبل ذلك وأنه نزل منه ملك كذا، وكان من جملة ما فُتِح الباب لأجله ونزل هذا الملك لأجله هو أنه نزل بهاتين الآيتين من ختام سورة البقرة مما يدل على عظمتها ومكانتها، ما المعنى فيها؟ ما خلاصة المعنى فيها؟

- التسليم والانقياد.

إذن من أعظم خلاصات الدين والإسلام وهو الموافق لاسم الإسلام هذا؛ هو قضية التسليم والانقياد، ولذلك من أراد أن يكون مُتقرِّبًا إلى الله بشيء فلن يتقرَّب إلى الله بشيءٍ أعظم من تسليم القلب له، وهذا هو المعنى الذي فاز به الصحابة، وبالمناسبة ترى كثير من العبادات التي تُذكر عن العُبَّاد فيما بعد زمن الصحابة أكثر من زمن الصحابة؛ من حيث العبادة الظاهرة، أليس كذلك؟

يعني لما تسمع عن الذي كان يصلي 200 ركعة ولا 300 ما أدري 400 ركعة ولا كم في اليوم، والذي يختم ستين ختمة والذي كذا والذي كذا...، ها؟

بينما الصحابة كثير منهم لم يُنقل عنهم هذه الكثرة في العمل، ولكنهم سبقوا بأمور من أهمها ما في القلب، "وإنما شيء وقر في قلبه".

---

[17] [صحيح مسلم:806].

بابٌ في تلقّي القرآن على منهاج النبوة، وتقديم مقصد العمل به وتدبّره والاستهداء والاستغناء به وتحكيمه وزيادة الإيمان به على غير ذلك من المقاصد الشريفة.

- **عنوان الباب وتعليق الشيخ عليه:**

الشيخ: نعم.

القارئ: باب في تلقي القرآن على منهاج النبوة، وتقديم مقصد العمل به وتدبره والاهتداء والاستغناء به وتحكيمه وزيادة الإيمان به على غير ذلك من المقاصد الشريفة.

الشيخ: نعم، هذا الآن الباب بابٌ يأتي في الترتيب المباشر بعد باب مرجعية الوحي، وكأن هذا الباب آتٍ هنا ليُقال فيه ما يلي؛

هذه مرجعية الوحي وتكلَّمنا عنها، ما المطلوب تجاهها؟

تكلمنا عن أمور من أهمها ما يستحق أن يُفرَد في باب مستقل وهو نحن ذكرنا في البداية أنه المتن مُراعي أمور متعلقة بالواقع، أليس كذلك؟

من المشكلات الموجودة في الواقع أنه حصل قدر من الاختلال في الرجوع إلى مرجعية الوحي بتقديم شيء من الأشياء المحمودة على غيرِه، وغيرُه أفضل منه، ما هو هذا الشيء المحمود الذي قُدِّم في الواقع؟

الذي هو الحفظ، وغيره أولى منه، وهو قضية إيش؟

الاستهداء والتدبر والتفكر والاتعاظ وزيادة الإيمان به.

القرآن نزل لمقاصد معينة، هذه المقاصد ليست مُستنتجة من اجتهاد أحد من الناس وإنما هي مقاصد مُبيَّنة في القرآن، والآيات التي ستُقرأ بعد قليل فيها بيان هذه المقاصد؛ يعني الله سبحانه وتعالى حين أنزل القرآن بيَّن لنا مقاصد ما أنزَل القرآن لأجله، حسنًا هذا الباب أتى لضبط البوصلة؛ ضبط المعيار ليقول إن التعامل مع القرآن ينبغي أن يكون على ضوء هذه المقاصد التي ذكرها الله تعالى، وإذا جاءت الأحاديث والآثار ستبين بشكلٍ واضح هذه

المقاصد وكيف قام الصحابة في زمن النبي ﷺ ببناء علاقتهم بالقرآن بناءً عليها أو على ضوئها، فهذا الباب أتى لضبط إشكال موجود في الواقع، هذا الإشكال ما هو؟

تقديم حفظ القرآن على غيره من المقاصد المتعلقة بالقرآن نفسه، ما المطلوب؟

ليس المطلوب بطبيعة الحال إلغاء الحفظ، بل هو أمر محمود وجاء مدحه في الوحي، ولكن المطلوب أن يُرفَع الاهتمام ببقية المقاصد القرآنية التي أهمها الاستهداء والتذكُّر والتفكُّر والتدبُّر وهذا له وسائل كثيرة، لكن هنا التأصيل لهذه القضية.

▪ الآيات بالباب وتعليق الشيخ عليها:

الآن تأتي الآيات التي تبين المقاصد القرآنية ولاحظوا تأملوا في كل آية منها ستجد أنها تدل على مقصد من المقاصد.

القارئ: قال الله سبحانه وتعالى:{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}[18]، وقال سبحانه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[19] ، وقال سبحانه: {وَإِذَا مَا أُنزِلَت سُورَةٌ فَمِنهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُم زَادَتهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتهُم إِيمَانًا وَهُم يَستَبشِرُونَ}[20]، وقال سبحانه في أربعة مواضع من سورة القمر: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}[21].

والذكر المقصود هنا هو: التذكر والاعتبار والاتعاظ، كما قال الطبري رحمه الله: (لِلذِّكْرِ: لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ)، وقال سبحانه: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}[22]، وقال سبحانه: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا

---

[18] [سورة ص: 29].

[19] [سورة الأنفال: 2].

[20] [سورة التوبة: 124].

[21] [سورة القمر: 22].

[22] [سورة الزمر: 284].

أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}[23]، وقال سبحانه: {إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ}[24] ، قال ابن كثير رحمه الله: (أي: إنّ في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ لبلاغًا: لمنفعة وكفاية لقوم عابدين)، وقال ابن السعدي رحمه الله: (أي: يَتَبَلَّغُون به في الوصول إلى ربهم) .

وقال سبحانه: {إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}[25]، وقال سبحانه: {فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ}[26] ، وقال سبحانه: {وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}[27]، وقال سبحانه: {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا}[28]، به: أي بالقرآن.

وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}.[29]

الشيخ: نعم، هذه الآيات القرآنية العظيمة فيها بيان كافٍ وشافٍ فيما يتعلق بمقاصد القرآن؛ المقاصد التي أنزل الله لأجلها القرآن، وهناك آيات أخرى كثيرة لم تُذكَر، هذا فقط على سبيل الاختصار.

الآية الأولى المقصد المذكور ما هو؟

التدبُّر والتذكُّر، جيد؟

والآية الثانية؟

[23] [سورة الحديد: 16].
[24] [سورة الأنبياء: 106].
[25] [سورة الإسراء: 9].
[26] [سورة الجن: 1-2].
[27] [سورة آل عمران: 79].
[28] [سورة الفرقان: 52].
[29] [سورة يونس: 57].

زيادة الإيمان؛ : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}

والآية الثالثة نفس الشيء زيادة الإيمان؛ {وَإِذَا مَا أُنزِلَت سُورَةٌ فَمِنهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُم زَادَتهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتهُم إِيمَانًا وَهُم يَستَبشِرُونَ}.

والأربع آيات التالية التي هي في سورة القمر؛ للذكر الذي هو الاتعاظ والاعتبار، لاحظوا هذه مقاصد قرآنية لبيان ما أُنزِل القرآن لأجله وهي في غاية الأهمية، والتي بعدها ما هو المعنى أو المقصد؟

الخشية والخشوع؛ {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}.

والتي بعدها نفس الشيء؛ {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}.

والتي بعدها الاستغناء بالقرآن والاكتفاء به من حيث كونه زادًا إلى الآخرة؛ {إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ}، وتفسير بلاغًا –طبعًا هو أحد الأقوال في تفسير بلاغًا ومن أشهرها– لمنفعة وكفاية كما قال ابن كثير، وكما قال السعدي أن يتبلَّغون به.

طيب والتي بعدها؟ مقصد إيش؟

الهداية؛ {فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ}، والتي بعدها؟ ها؟

لا، قبل، {وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}.

نعم، التعلُّم والدراسة، وهذا معناه أكثر من مجرد التلاوة والقراءة، والتعليم كذلك؛ {وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}، فالدراسة دراسة الآيات القرآنية وتدارسها، طيب والتي بعدها؟ ها؟

المجاهدة به ودفع أعداء الباطل وشُبَه المشبِّهين وأصحاب الزَيغ والانحراف والإلحاد به؛ بالقرآن.

والتي بعدها؟

الاتِّعاظ وأنه شفاءٌ لما في الصدور.

لاحظوا يا جماعة كم مقصد الآن قرآني ذكره الله سبحانه وتعالى نفسه عن القرآن الكريم، كم مقصدًا قرآنيًّا؟

مقاصد كثيرة وعظيمة ومهمة جدًّا، طب تخيلوا أن يعني تُختَزَل هذه المقاصد في أنه يكون حظّ الإنسان من القرآن كثرة القراءة والحفظ وانتهينا، فهذا هذا يعني لا شكّ أن فيه نقصًا كبيرًا.

تأتي الأحاديث النبوية الآن لتكون كذلك مُؤكِّدة ومُعزِّزة ومُفصِّلة ومُبيِّنة لحال الصحابة في زمن النبي ﷺ، كيف تلقّوا القرآن على زمن النبي ﷺ؛ ليكون هذا موافقًا للباب الذي هو تلقّي القرآن على منهاج النبوّة.

▪ الأحاديث بالباب وتعليق الشيخ عليها:

الشيخ: نعم

القارئ:

6. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "لقد عِشْنا بُرهةً من دَهرِنا، وأحدُنا يُؤتَى الإيمانَ قبلَ القُرْآنِ، وتَنزِلُ السُّورةُ على مُحمَّدٍ ﷺ، فيتعلَّمُ حَلالَها وحَرامَها، وآمِرَها وزاجِرَها، وما يَنبَغي أنْ يقفَ عندَه منها، كما تعلَّمونَ أنتمُ اليومَ القُرْآنَ، ثم لقد رأيتُ اليومَ رِجالًا يُؤتى أحدُهمُ القُرْآنَ قبلَ الإيمانِ، فيَقرَأُ ما بينَ فاتِحَتِه إلى خاتِمَتِه، ما يَدْري ما آمِرُه ولا زاجِرُه، ولا ما يَنبَغي أنْ يقفَ عِندَه منه، فيَنْثُرُه نَثْرَ الدَّقَلِ"[30].

[30] [أخرجه الحاكم: 101، والبيهقي: 4924 واللفظ له].

7. عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كنَّا معَ النَّبيِّ ﷺ ونحنُ فتيانٌ حَزَاوِرَةٌ، فتعلَّمنا الإيمانَ قبلَ أن نتعلَّمَ القرآنَ ثمَّ تعلَّمنا القرآنَ فازددنا بِهِ إيمانًا" .[31]

حَزَاوِرَة: جمع الحَزْوَرِ: وهو الغلام الذي قاربَ البلوغَ.

8. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "وما اجْتَمع قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عليهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ" .[32]

9. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جَاءَ نَاسٌ إلى النبيِّ ﷺ ، فَقالوا أَنِ ابْعَثْ معنا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إليهِم سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الأنْصَارِ يُقَالُ لهمْ: القُرَّاءُ، فيهم خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، وَيَتَدَارَسون باللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بالمَاءِ فَيَضَعُونَهُ في المَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ به الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ" .[33]

10. عن أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال: "حَدَّثَنا مَن كان يُقرِئُنا مِن أصْحابِ النَّبيِّ ﷺ، أنَّهم كانوا يَقتَرِئونَ مِن رسولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آياتٍ، فلا يَأخُذونَ في العَشْرِ الأُخرى حتى يَعلَموا ما في هذه مِن العِلْمِ والعَمَلِ، قالوا: فعَلِمْنا العِلْمَ والعَمَلَ" .[34]

11. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كان الرجلُ منا إذا تعلَّم عشرَ آياتٍ لم يجاوِزْهنَّ حتى يعرفَ معانيهن والعملَ بهن" .[35]

12. عن مالك، أنه بلغه، أن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– "مكث على سورة البقرة ثماني سنين؛ يتعلّمها" [36]

13. عن أنس رضي الله عنه قال: "كان رجلٌ يكتب بَيْنَ يَدَيْ رسول الله ﷺ قد قرأ البقرةَ وآلَ عمرانَ، وكان الرجلُ إذا قرأ البقرةَ وآلَ عمرانَ يُعد فينا عظيمًا".[37]

---

[31] [أخرجه ابن ماجه:61].
[32] [أخرجه مسلم: 2699].
[33] [أخرجه مسلم:677].
[34] [أخرجه أحمد: 23482].
[35] [أخرجه الحاكم (1 / 557) والبيهقي في الكبرى (2 / 119)، وأخرجه الطبري في تفسيره واللفظ له].
[36] [أخرجه مالك: 546].
[37] [أخرجه أحمد: 12216].

الشيخ: هذه الأحاديث المهمَّة جدًّا في بيان تلقي القرآن على منهاج النبوة.

الحديث الأول منها حديث عبد الله بن عمر، والحديث التالي حديث جُندَب -رضي الله تعالى عنه- هي في بيان أنَّ النبي ﷺ كان يعتني بتهيئة القلوب لتلقّي القرآن؛ فيعزز فيها الإيمان واليقين، ثم ينزل القرآن وعلى هذه القلوب وهي قلوب متهيئة لهذا التلقّي، وقد فاتني أن أذكر حديثًا هنا وهو حديث مهم موافق لهذا المعنى موافقة تامة، وهو حديث حذيفة في البخاري أيضًا وهو؛ "حَدَّثَنَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أحَدَهُما وأَنَا أنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنَا: أنَّ الأمَانَةَ نَزَلَتْ في جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ وحَدَّثَنَا عن رَفْعِهَا قالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأمَانَةُ مِن قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أثَرُهَا مِثْلَ أثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى فِيهَا أثَرُهَا مِثْلَ أثَرِ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ علَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وليسَ فيه شيءٌ، ويُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فلا يَكَادُ أحَدٌ يُؤَدِّي الأمَانَةَ، فيُقَالُ: إنَّ في بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أمِينًا، ويُقَالُ لِلرَّجُلِ: ما أعْقَلَهُ وما أظْرَفَهُ وما أجْلَدَهُ، وما في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إيمَانٍ ولقَدْ أتَى عَلَيَّ زَمَانٌ، ولَا أُبَالِي أيُّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإسْلَامُ، وإنْ كانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وأَمَّا اليَومَ: فَما كُنْتُ أُبَايِعُ إلَّا فُلَانًا وفُلَانًا".[38]

فذكر أنَّ الأمانة نزلت في جَذْر قلوب الرجال طبعًا ما المقصود بالأمانة؟

الأمانة المقصود بها الإيمان، جيد؟

قال حدثنا النبي ﷺ عن نزول الأمانة في جَذْر قلوب الرجال ثم علِموا من القرآن ثم علموا من السنة، جيد؟

أو ثم علموا من القرآن وعلموا من السنة، فلاحظ ترتيب قضية الإيمان ثم تعلم القرآن والسنة، وهكذا الحديث "كنا نُؤتى الإيمان قبل القرآن"، وحديث جُندَب "فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن"، وهذا المعنى معنى مركزي وينبغي أن يعتني به المربُّون والدعاة والآباء والأمهات، معنى مركزي وأساسي ومهم؛ أيّ صاحب مشروع يريد أن يستصلح في النفوس ويستصلح في حتى سواء أجيالًا صاعدة ذكورًا إناثًا أيًّا كان، مهم جدًّا أن يكون من أعظم الموضوعات

[38] [صحيح البخاري: 7086].

وأولها تعزيز الإيمان واليقين في القلوب، وهذا التعزيز مِن أَوْلى ما يدخل فيه قضية أعمال القلوب، وبيان مركزية الآخرة، وعظمة الخالق سبحانه وتعالى، وأنه المستحِق وحده للعبادة وما إلى ذلك من المعاني الإيمانية الكبرى التي تدخل تحت قول فتعلمنا الإيمان.

وتعلُّم الإيمان هذا ليس منعزلًا عن القرآن؛ يعني هذا تعليم الإيمان أصلًا مِن أهم ما يدخل فيه هو معاني القرآن، يعني تشرُّب معاني القرآن، ومِن الأدلة على ذلك حديث ابن عمر نفسه الأول، لأنه إيش الذي يقول فيه؟

يقول: "وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلّم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها"، هذا جزء من تعلّم الإيمان أصلًا، جيد؟

فتعلّم الإيمان ليس بمعزل عن معاني القرآن، وفي نفس الوقت تعلّم الإيمان الثمرة منه تهيئة القلب؛ بأن يكون قلبًا مؤمنًا صالحًا خاشعًا مُعظِّمًا لله ولحدوده ومُعظِّمًا لسنة رسوله ﷺ، فإذا جاءت الآيات نزلت على قلب منقاد مُعظِّم مسلِّم، مثلما مرَّ معنا قبل قليل في الصحابة تأتيهم الآية؛ {وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ}، فيقفون عندها ويخافون ويهابون.

وتنزل {لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}[39]، تخيل لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، آية كذا أنت تمرّ عليها، يأتي أبو طلحة أحسن وأثمن شيء يملكه هو مزرعة اسمها "بيرُحاء"، يأتي للنبي ﷺ فيقول:" يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى يقولُ: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، وإنَّ أحَبَّ أمْوَالِي إلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وإنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أرْجُو برَّهَا وذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يا رَسولَ اللَّهِ حَيْثُ أرَاكَ اللَّهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: بَخٍ، ذلكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذلكَ مَالٌ رَابِحٌ، وقدْ سَمِعْتُ ما قُلْتَ، وإنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا في الأقْرَبِينَ. فَقَالَ أبو طَلْحَةَ: أفْعَلُ يا رَسولَ اللَّهِ. فَقَسَمَهَا أبو طَلْحَةَ في أقَارِبِهِ وبَنِي عَمِّهِ". [40] وقال يحيى بن يحيى وإسماعيل، عن مالك: (رَايِحٌ).

[39] [سورة آل عمران: 92].

[40] [أخرجه البخاري: 1461، ومسلم: 998].

يعني هي قلوب مؤمنة مُعظِّمة، حين تأتي الآية تأتي لقلبٍ متلقٍّ مستعدٍ للامتثال، أما قضية إنه اقرأ اقرأ واتلُ واتلُ يعني في أسرع وقت أو في أكثر مرات تُكرِّر أو في يعني مجرد الحفظ والضبط، فليس هذا القصد الأعظم، ليس هذا هو القصد الأعظم، وهذه القضية ليست تكميلية هذه القضية من جوهر ما ينبغي الإصلاح فيه اليوم؛ من جوهر ما ينبغي فيه الإصلاح اليوم خاصةً وأنَّ مشاريع تحفيظ القرآن هي الأكثر انتشارًا في الواقع، ولذلك فإنَّ من أعظم صور الإصلاح الذي ينبغي أن يُبدَأ به اليوم؛ هو الاستصلاح في داخل المعاهد القرآنية وحلقات التحفيظ بأن يُزَاد في مفرداتها ما يتعلق بالتدبر والاستهداء والخشية والدروس الإيمانية التزكوية التي تؤول إلى تعظيم القرآن والانقياد له والاستجابة له وتدارس آياته، هذا بالنسبة للحديث الأول والثاني وحديث حذيفة الذي لم أذكره.

حديث أبي هريرة الثالث؛ هو حديث ما المعنى الموجود فيه تجاه القرآن؟

التلاوة والتدارس، جيد؟

وهذا يوافق الآية: {وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}

وحديث أنس بن مالك أيضًا فيه التدارس –الذي بعده- الذي هو "يقرأون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلّمون"، والحديث التالي هذا عاد أوضح من هو الحديث التالي الذي هو العاشر يعتبر في الكتاب، والحادي عشر هذه يعني من أصرح الأحاديث والآثار في تثبيت هذا المعنى "كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ " هذا تلقّي القرآن عن منهاج النبوة يقترئون من رسول الله ﷺ كم؟ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، ودائمًا نحن نقول يا جماعة في مجالس الاستهداء للقرآن يجب التركيز على قضية، ما العمل المطلوب في هذه الآيات؟

يتعلّم العلم والعمل، قال "فعلمنا العلم والعمل" هكذا تربَّوا عند النبي ﷺ، ثم يأتي عبدالله ابن مسعود فيؤكِّد هذا في حديثه "كان الرجل منا إذا تعلَّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن".

وهذا الأثر عن مالك –رضي الله تعالى عنه ورحمه- والذي ذكرتُه في البداية أنه بلغه أنَّ عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة 8 سنين، أخرج الإمام مالك هذا الأثر بعد حديث

الخوارج، وفيه "يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيَهم"، ثم قال (بلغني أنَّ ابن عمر مكث على سورة البقرة 8 سنين)، ماذا يريد الإمام مالك أن يقول؟

يقول: يا جماعة ترى القضية ليست بكثرة القراءة، ترى الخوارج قال فيهم النبي ﷺ يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ثم يقول لك أما ابن عمر؛ فأخذ سورة البقرة في 8 سنوات، الآن لو أحد عندنا يأخذ البقرة في 8 سنوات ما هذا الإنسان الفاشل البليد الذي يعني يأخذ البقرة في 8 سنوات، لكن هي أخذ البقرة في 8 سنوات لما فيها من الوقوف عند حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها والأحكام والعِبَر والتفاصيل وو..إلخ.

ويؤكِّد ذلك الحديث الأخير الذي هو الثالث عشر حديث أنس أنه "كان الرجل إذا أخذ البقرة وآل عمران يُعَدُّ فينا عظيمًا"، وهذا ليس لمجرد أنه يعني حفظها حفظًا عاديًّا، وإنما لِمَا كانت تقتضيه من اللوازم.

طيب، الباب التالي؟

باب تعظيم حدود الله والتحذير من مخالفة أمره وأمر رسوله ﷺ.

- **عنوان الباب وتعليق الشيخ عليه:**

القارئ: الباب الثالث؛ بابٌ تعظيم حدود الله والتحذير من مخالفة أمره وأمر رسوله ﷺ.

الشيخ: نعم، هذا الباب يأتي مرتبطًا بمرجعية الوحي، أليس كذلك؟

يعني لا زلنا إلى الآن هذه الأبواب الثلاثة كلها مرتبطة بمرجعية الوحي؛ فالباب الأول شمولي في مرجعية الوحي، والباب الثاني في العلاقة بالقرآن وطبيعة المقاصد القرآنية التي ينبغي أن تُرَاعَى، والباب الثالث في قضية التعظيم تحديدًا، وأنَّ من لوازم مرجعية الوحي أن يكون الإنسان مُعظِّمًا لها ولما جاء فيها، فهذا الباب في تعظيم حدود الله والتحذير من مخالفة أمره، وهذا مقتضى الإيمان بمرجعية الوحي.

- **الآيات بالباب وتعليق الشيخ عليها:**

الشيخ: نعم.

القارئ: قال الله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}، وقال سبحانه: {ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ}[41]، وقال سبحانه: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[42]

.

الشيخ: نعم، هذه الآيات واضحة في بيان أو في العلاقة بالباب فلننتقل للأحاديث، وفيها يعني العلاقة المباشرة في قضية التعظيم، وأنَّ من أعظم المقاصد أن يكون القلب شديد التعظيم لما في كتاب الله، ولما جاء عن الله ولما جاء عن رسوله ﷺ، هذه الآيات فيها حتى أمر الرسول ﷺ في قوله: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} أي أمر رسوله ﷺ؛ لأنَّ الآيات في سياق أمر النبي ﷺ، كما هو معلوم في سياق ختام سورة النور.

---

[41] [سورة الحج: 32].

[42] [سورة النور: 63].

▪ الأحاديث بالباب وتعليق الشيخ عليها:

الشيخ: نعم.

القارئ:

14. عن عائشة رضي الله عنها "أنَّ قُرَيْشًا أهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ، فَقالوا: ومَن يُكَلِّمُ فِيهَا رَسولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقالوا: ومَن يَجْتَرِئُ عليه إلَّا أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسولِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "أتَشْفَعُ في حَدٍّ مِن حُدُودِ اللَّهِ؟"، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قالَ: "إنَّما أهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقَامُوا عليه الحَدَّ، وايْمُ اللَّهِ لو أنَّ فَاطِمَةَ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" .[43]
15. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "فإنِّي أَخْشَى إنْ تَرَكْتُ شيئًا مِن أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ" .[44]
16. عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: " قَدِمَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ علَى ابْنِ أخِيهِ الحُرِّ بنِ قَيْسٍ، وكانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وكانَ القُرَّاءُ أصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ ومُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أوْ شُبَّانًا، فَقالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أخِيهِ: يا ابْنَ أخِي، هلْ لكَ وجْهٌ عِنْدَ هذا الأمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لي عليه. قالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لكَ عليه. قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فأذِنَ له عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عليه قالَ: هِيْ يا ابْنَ الخَطَّابِ! فَوَاللَّهِ ما تُعْطِينَا الجَزْلَ ولَا تَحْكُمُ بيْنَنَا بالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حتَّى هَمَّ به، فَقالَ له الحُرُّ: يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إنَّ اللَّهَ تَعَالَى قالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[45] ، وإنَّ هذا مِنَ الجَاهِلِينَ، واللَّهِ ما جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عليه، وكانَ وقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ" .[46]

---

[43] [أخرجه البخاري: 3475، ومسلم: 1688].

[44] [أخرجه البخاري: 3093، ومسلم: 1059].

[45] [سورة الأعراف: 199].

[46] [أخرجه البخاري: 4642].

تعليق الشيخ: نعم، هذه الأحاديث الشريفة هي في تأكيد معنى التعظيم لحدود الله والخوف من المخالفة، يعني: كيف يكون الإنسان مُعظِّمًا؟

1. بما يقع في قلبه، عندما يسمع آيات الله ويتلقَّى الأمر.
2. في سرعته وامتثاله للاستجابة، خاصة عند مخالفة الهوى.
3. في الخوف والخشية من المخالفة، التعظيم ليس فقط يقود إلى الامتثال وإنَّما يقود إلى الخوف من المخالفة. فأنا أمتثل أمر الله وأمر رسوله ﷺ وأخاف إن لم أمتثل، وهذا أمر زائدٌ على مجرد الامتثال. والأحاديث تقريبًا كلها في هذا المعنى، فالحديث الأول: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِن حُدُودِ اللَّهِ؟"، يعني تعظيم القضية إلى درجة: هل يمكن أن يخطر ببالك أنه يمكن أن أترك حدًّا من حدود الله! هذا لا يمكن.

ثم التالي كلام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وهو كلامٌ عظيم جدًّا: "إِنِّي أَخْشَى إنْ تَرَكْتُ شيئًا مِن أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ" وهذا معناه أنّ أبا بكر رضي الله عنه كان يستحضر أيّ آية؟ {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[47] كان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يخاف أن يخالف أمر النبي ﷺ ولو في قضية من القضايا، فيؤدي ذلك به إلى أن يزيغ! وهذا غريب وعجيب ويدلّ على ما تكلّمنا عنه قبل قليل، قلوب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.. معنى مختلف. يعني أحيانًا الإنسان يفكر: بالعكس! كلما زاد من الطاعات فإنه عنده فرصة لو أخطأ أو زلَّ، الله غفور رحيم والحمد لله، والحسنات يذهبن السيئات.. لكن: قلوب أهل العلم بالله وأهل الخشية لها منطقٌ مختلف، لا تفكر بهذا المنطق، ولا تحسب هذا الحساب، وإنما تفكر بعكس ذلك، فهذا مثالٌ مباشر في القضية.

ثم حديث ابن عباس وموقف عمر رضي الله تعالى عنه، وفيه تطويع النفس وترويضُها وقمعها عن هواها بسبب آية أو حديث صحيح عن النبي ﷺ. وأيضا فاتني هنا أن أذكر حديثًا آخر –وحبَّذا لو أحد منكم سجل هذه الملاحظات ممكن نزيدها بعدين– فذكرتُ في الباب السابق حديثنا أو الذي قبله، وهنا أيضًا وهو حديث مَعقِل بن يسار؛ حديث مناسب جدًّا ومشابه لقصة عمر في الوقوف عند حدود الله، وهو أيضًا حديثٌ في البخاري. وذلك أن

[47] [سورة النور: 63].

معقل بن يسار زوَّج أخته لأحد الصحابة، ثم طلقها ذلك الرجل، ثم تراضيا للرجوع، فأبى الرجوع معقل بن يسار وقال: أنا زوّجتك وأكرمتك، ثم طلَّقتها، ثم تريد مني أن أزوجك إياها؟ لا ما أزوّجك! فنزل قول الله تعالى: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} فمباشرةً بعد أن نزلت الآية: معقل بن يسار -كما نعبِّر:- سحب كلامه، وتراجع عن قوله، وزوَّج أخته. فهذا مناسب أن يُذكر في هذا الباب في أن يقف الإنسان عند حدود الله، "وكان وقَّافًا عند كتاب الله" كما قيل عن عمر في هذا الحديث، وهذه أيضًا قصة أخرى. تفضل.

بابُ ضبط الأفهام على معيار الوحي، وتصحيح النبي ﷺ لمقاييس النظر، وأن من أسباب الضلال: ردُّ الحق بمعايير نظرٍ خاطئة.

تعليق الشيخ: هذا أيضا بابٌ متّصل بمرجعية الوحي. والمطلوب هنا، والمعنى المتصل بمرجعية الوحي: أن الموقف منها ليس فقط التعظيم والتسليم والانقياد والخوف من المخالفة، وكل المقاصد التي ذُكرت.. لا، وإنما هذا المعنى الآن: معنى معرفي منهجيّ، وهو: أن مرجعية الوحي ينبغي أن تصل إلى درجة أن تكون هي المعيار، وأن تُحاكَم المعايير إليها. فتُؤسَّس المعايير بناءً على معايير مرجعية الوحي، أو لِنَقُل -على الأقلّ-: نلاحظ أن مما جاء به الوحي أنه يؤسس لمعايير صحيحة، ويبطل المعايير الزائفة، فيُتنبَّه لذلك المعنى.

وسيُذكر الآن من الآيات المعاني المختلفة، كيف أن القرآن نبَّه إلى بعض المعايير الخاطئة في سياق أن هذا كلام مشركين وكلام أهل الباطل. وكيف تُبنى المعايير الصحيحة في القرآن، وكذلك في سنة النبي ﷺ.

نعم، الآيات.

▪ الآيات بالباب وتعليق الشيخ عليها:

القارئ:

قال قوم نُوح: {قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ}[48]. قال قوم شعيب: {وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا}[49]. قالت بنو إسرائيل: {قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ}[50].

قالَ مشركو قريش: {وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا}[51]. قال الله تعالى: {وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ}[52].

---

48 [الشعراء: 111].

49 [هود: 91].

50 [البقرة: 247].

51 [الفرقان: 7].

52 [البقرة: 221].

وقال سبحانه: {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ}[53]. وقال عز وجل: {قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ}.[54]

تعليق الشيخ: نعم، الآيات الأربعة الأولى هي في أي شيء؟ في ذكر المعايير الخاطئة. {قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ} طيب، يعني الأرذلون عندهم طبقة اجتماعية معينة؟ أين العلاقة بين اتّباع الضعفاء للقضية وبين كونها باطلًا؟ ما فيه علاقة.

{وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا} حسنًا، إذا كنت ضعيفًا فما علاقة هذا بين كون ما آتي به باطلًا؟

ونفس الشيء اليهود: {قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ} وكذلك {وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ...} كلها ينبّه القرآن إلى أن المشركين والكفار عندهم معايير باطلة.

المطلوب هذا اليوم في زماننا أيضًا أن يكون المصلِح والمؤمن وطالب العلم والفقيه والعالِم: مُتنبِّهًا للمعايير الزائفة والباطلة. مثلًا من المعايير المنتشرة اليوم، وهو امتدادٌ لمعايير المشركين المذكورة في القرآن: الربط بين القوّة وبين الحق. القوة يعني إنسان عنده منصب معين، عنده قوة أيًا كانت؛ سياسية، اقتصادية.. الربط بين ما يقوله وبين كون ما يقوله هو الحقّ. بأي ربط؟ هذا المنطق الذي يبطله القرآن دائمًا! أنه لأنه صاحب مكانة دنيوية معينة إذن فإذا قال عن شيء أنه حق فهو حق، وإذا قال عن شيء باطل فهو باطل.. وإذا قال عن أُناس أنهم صالحون فهم صالحون، وعن أُناس أنهم فاسدون فهم فاسدون.. بأيّ معيارٍ يكون هناك ربطٌ بين القوة والحقيقة؟ لا علاقة بين القوة والحقيقة! بالعكس، القوة تجلب البَطَر والكِبر وأن الإنسان ما يرى إلا نفسه، وقد يكون الإنسان المشرّد الضعيف هو صاحب الحق، وهذا مُبيَّن من المعايير التي تُذكر في القرآن: {وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا}

والآية التي بعدها: {أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا}

{وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ}

طيب هذه الآيات الأربعة الأولى، ثم الآيات الثلاثة في تأسيس معايير صحيحة:

---

[53] [النحل: 96].

[54] [الجمعة: 11].

{وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ}

{مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ}

{قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ}

طبعًا الآيات كثيرة لو تتبعها الإنسان في هذا الباب، ولكن هذا في هذا على سبيل الاختصار. نعم، الأحاديث.

▪ الأحاديث بالباب وتعليق الشيخ عليها:

القارئ:

17. عن عمر رضي الله عنه قال: "دخلتُ على رسولِ اللهِ ﷺ وهو على حصيرٍ قال: فجلستُ، فإذا عليه إزارُه، وليس عليه غيرُه، وإذا الحصيرُ قد أثَّر في جنبِه، وإذا أنا بقبضةٍ من شعيرٍ نحوَ الصَّاع، وقَرظٍ في ناحيةٍ في الغرفةِ، وإذا إهابٌ مُعلَّقٌ، فابتدرت عيناي، فقال: "ما يُبكيك يا بنَ الخطَّابِ؟" فقال: يا نبيَّ اللهِ وما لي لا أبكي! وهذا الحصيرُ قد أثَّر في جنبِك وهذه خِزانتُك لا أرى فيها إلَّا ما أرى، وذاك كسرَى وقيصرُ في الثِّمارِ والأنهارِ، وأنت نبيُّ اللهِ وصفوتُه وهذه خِزانتُك. قال: "يا بنَ الخطَّابِ أما ترضَى أن تكونَ لنا الآخرةُ ولهم الدُّنيا؟ قلت بلى"[55] أخرجه البخاري ومسلم.

18. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الدُّنيا سجنُ المؤمنِ وجنَّةُ الْكافرِ"[56] أخرجه مسلم.

19. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ[57]، إنَّما الشَّديدُ الَّذي يملِكُ نفسَه عندَ الغَضبِ"[58] أخرجه البخاري ومسلم.

20. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما تعُدُّونَ الرَّقوبَ فيكم؟" قال: قُلْنا: الَّذي لا يولَدُ له. قال: "ليس ذلك بالرَّقوبِ ولكنِ الَّذي لا يُقدِّمُ مِن ولدِه شيئًا"[59] أخرجه مسلم.

---

[55] [الترغيب والترهيب: 175/4].

[56] [أخرجه مسلم: 2956].

[57] *تعقيب إملائي للشيخ في الطبعة: يقول أنها مكتوبة بالسكون "بالصُّرْعَةِ" وهي "بالصُّرَعَةِ".

[58] [صحيح الأدب المفرد: 989].

الرَّقوب في اللغة: هو الذي لا يعيش لهُ ولد.

21. عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديثه عن رفع الأمانة من الناس، قال: "فيُصبِحُ الناسُ يَتبايَعُونَ لا يَكادُ أحدٌ يُؤَدِّي الأَمانةَ حتى يُقالَ: إنَّ في بَنِي فُلانٍ رجلًا أمينًا! ويُقالَ لِلرَّجُلِ: ما أعْقَلَهُ وما أظْرَفَهُ وما أجْلَدَهُ وما في قَلْبِهِ مثال حبَّةُ خرْدَلٍ من إيمانٍ"[60]. أخرجه البخاري ومسلم.

22. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "رُبَّ أشعثَ أغبرَ مدفوعٍ بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره"[61] أخرجه مسلم.

23. عن سهل رضي الله عنه قال: مرَّ على رسولِ اللهِ ﷺ رجلٌ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: "ما تَقُولونَ في هذا؟ قالوا: حَرِيٌّ إنْ خطَبَ أنْ يُنْكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ يُشَفَّعَ، وإنْ قالَ أنْ يُسْتَمَعَ، قالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِن فُقَرَاءِ المسْلِمِينَ، فَقالَ: ما تَقُولونَ في هذا؟ قالوا: حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ لا يُنْكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ لا يُشَفَّعَ، وإنْ قالَ أنْ لا يُسْتَمَعَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هذا خَيْرٌ مِن مِلْءِ الأرْضِ مِثْلَ هذا"[62] أخرجه البخاري.

24. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "تَعِسَ عبدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وإذَا شِيكَ فلا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بعِنَانِ فَرَسِهِ في سَبيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إنْ كانَ في الحِرَاسَةِ، كانَ في الحِرَاسَةِ، وإنْ كانَ في السَّاقَةِ كانَ في السَّاقَةِ، إنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ له، وإنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ"[63] أخرجه البخاري.

تعليق الشيخ: نعم هذه الأحاديث العظيمة كذلك في بيان شيء من المعايير التي كان يؤسّسها النبي ﷺ ويُصلِح من خلالها بعض ما قد يلتبس عند أصحابه. ففي الحديث الأول حديث عمر رضي الله تعالى عنه لما رأى النبي ﷺ على تلك الحال، أراد النبي ﷺ أن ينقله

---

59 [أخرجه مسلم: 2608].
60 [صحيح الجامع: 1584].
61 [رواه مسلم: 2622].
62 [صحيح ابن ماجه: 3342].
63 [صحيح البخاري: 2887].

إلى معيارٍ مختلف؛ فقال له: "يا بنَ الخطَّابِ أما ترضَى أن تكونَ لنا الآخرةُ ولهم الدُّنيا؟" وهذا معيارٌ عامّ، يصحِّح الإنسان فيه كثيرًا من الأمور.

وهذا يُذكِّر بحديث -ويمكن أن يُضاف أيضًا هنا في هذا الباب- وهو حديث في صحيح مسلم، حين مرَّ النبي ﷺ بشاة أو بجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، "فقالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أنَّ هذا له بدِرْهَمٍ؟ فَقالوا: ما نُحِبُّ أنَّهُ لَنا بشيءٍ، فَقالَ: فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيا أَهْوَنُ علَى اللهِ مِن هذا علَيْكُم". لاحظ كيف تصحيح وضرب الأمثلة وتصحيح المعيار.

"الدُّنيا سجنُ المؤمنِ وجنَّةُ الْكافرِ" هذا من أعظم وأكبر وأنفع المعايير التي من نظر إليها يفيده ذلك كثيرًا في الاستقامة في حياته، فأن يعرِف الإنسان المؤمن الدنيا بأنها سجن: فهذا يجعله يصبر على كثير من الأمور، خاصة إذا أكمل الحديث: "وجنّة الكافر" فلا يمدّن عينيه إلى ما مُتِّع به الكفار أو الفسّاق أو أهل الفجور، فهذا معيار مهم.

وكذلك التالي: "ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ..." هذا الحديث والذي يليه تصحيح مباشر، وإعطاء معنى بخلاف ما يدلّ عليه اللفظ في صورته اللفظية اللغوية المنحصرة في هذا المعنى. يريد النبي ﷺ أن يضيف إلى اللفظ معنىً مختلفًا، وإن كان متصلًا بأساس اللفظ من الجهة التي يريدها النبي ﷺ. فالشديد من هو؟ طبيعي، الشديد هو الذي لا يُصرَع، القوي الذي يغالب الناس، إنسان شديد في بدنه. فالنبي ﷺ يريد أن ينبِّه إلى أن من استطاع أن يغلب نفسه: فهو أشدُّ ممن كان قويًا في جسده يغلِب الجميع ولا يُغلَب. ليس الشديد بالصُّرعة؛ الذي يصرع الناس ويغلبهم، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب، هذا الذي يستحقُّ أن يسمى شديدًا.

طبعًا هذا نأخذ منه منهجًا في التعامل مع الألفاظ، وأنه متى ما حَصر الناس لفظًا شريفًا في معنىً معين مادّي أو دنيوي: فإننا ننبّه إلى بعض الصور الشريفة التي تدخل في هذا اللفظ، والتي ينبغي أن يُلتفت إليها.

مثلًا لفظ (الحرية)، حين يُختزَل هذا اللفظ في الحرية باختصار، مثلًا بمعناها الليبرالي: فنحن ننبِّه على صورٍ من الحرية لا توجد إلا في العبودية لله سبحانه وتعالى. وهي متصلة بـ: "تَعِسَ عبدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ..." وأن بعض ما تعرِفونه بأنه حرية؛ فنحن نعرّفه بعكس هذا، نعرِّفه بأنه عبودية! وأن صورًا من صور الحرية، بل من أزكى صور الحرية: تدخل تحت ما

تعرِّفونه أنتم بأنه مناقض الحرية وهو العبودية لله والذل له سبحانه وتعالى! وأن الإنسان ليس فقط من باب اللفظ العام، بل من باب الحقيقة: يرى حريته العظيمة الحقيقية الواسعة بمقدار عبوديّته لله سبحانه وتعالى، وأنه يتحرر بذلك من سطوة النفس وسُلطتها، ويتحرر بذلك من سطوة الناس وسُلطتهم. فكلما ازداد بالله تعلقًا وعليه توكلًا وبه اعتصامًا: ازداد تحررًا واستغناءً عن الناس.

بينما كثير ممن يظنّ أنه حر: هو في الحقيقة عبد! إما عبدٌ لمعشوقه، أو عبد لثروته، أو عبد لكذا أو لكذا.. فالإسلام يوسِّع من مفهوم العبودية ويوسِّع من مفهوم الحرية. هذا الآن نموذج على الاقتداء بما جاء في هذا الباب من الأحاديث، في تصحيح المعايير المتعلقة بالألفاظ.

نفس الشي الإرهاب، ترى من أولى ما يدخل في الإرهاب: صور كثيرة لأناس هم الذين يطلقون هذا المصطلح! ولكن ترى يُمارس الإرهاب تحت أسماء وأسماء وأسماء.. دُوَل تُدمِر وتحتَل، ثم يُبرَّأ أصحابها من مثل هذا اللفظ، وهذا تزوير للألفاظ، وقلب لمعايير غير صحيح، بينما تُصحَّح المعايير بمثل ذلك.

الحديث التالي هو حديث حذيفة الذي أشرتُ إليه، في أن الأمانة نزلت في جذرِ قلوب الرجال، وفيه تصحيح لمعيار خاطئ، هو: "يُقالَ لِلرَّجُلِ: ما أعْقَلَهُ ما أظْرَفَهُ ما أجْلَدَهُ" هذا التعلّق بالصورة الظاهرة، بينما المعيار هو في قضية الإيمان.

وكذلك: "رُبَّ أشعثَ أغبرَ مدفوعٍ بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره" وهذا فيه تنبيهٌ إلى قضية عدم استصغار الإنسان لأجل كونه رثّ الهيئة وغير بهيّ المنظر، فقد يكون ليس فقط من المؤمنين الصالحين من عامّتهم، وإنما لو أقسم على الله سبحانه وتعالى لأبرّه!

والحديث التالي فيه كذلك اختبار المعيار: النبي ﷺ عندما يقول لأصحابه ما تقولون في هذا؟ فقالوا كذا وكذا.. فيعكس القضية، يقول: هذا خير من ملءِ الأرض من هذا.

ثم يأتي الحديث العظيم في قضية: "تَعِسَ عبدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ" هذا فيه كذلك المثال الذي ذكرت، أنه ترى العبودية ليست هي العبودية المتصلة بالرِّق فقط، يعني العبودية المناقضة للحرية بالمعنى المعروف، وإنما العبودية قد تكون لمن يظنُّ نفسه حرًا، بل قد يظن نفسه سيّدًا من سادات الحرية، وإنما هو في الحقيقة عبدٌ لهواه، وعبدٌ لدنانيره ودراهمه.

بابٌ في مركزية التزكية في حياة المؤمن، وأهمية أعمال القلوب، وأن عليهما مدار الفلاح.

تعليق الشيخ: بالنسبة لهذا الباب فهو باب مهم جدًا، وهو نابعٌ عن مرجعية الوحي. الآن نحن انتهينا من الأدلة المباشرة في تثبيت مرجعية الوحي وبيان عظمتها، أليس كذلك؟ الآن سنأتي لبقية الكتاب، وكلها نابعة من الأبواب الأولى، أي: نتيجة تعظيم مرجعيّة الوحي والاستمداد منها، والاستهداء بها، والاستنباط منها.. وإلى آخره، فإننا سنخرج بمجموعةٍ من القضايا المستمدَّة من الوحي، والتي ينبغي تعظيمها والانطلاق من خلالها.

طبعًا لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ: لجعلتُ (باب في أن الدين على مراتب متفاوتة) هنا بعد (باب ضبط الأفهام على معيار الوحي)، لأن هذا الباب هو الباب الوحيد تقريبًا الذي بقي مُتعلِّقًا بمرجعية الوحي بشكل مباشر، فالأبواب الأولى في تعظيم مرجعية الوحي، وتثبيت مرجعية الوحي، وتعزيز مرجعية الوحي، وكيفية تلقي مرجعية الوحي، ثم باب (أن الدين على مراتب متفاوتة) هذا يأتي في فقه مرجعية الوحي. فما بعد ذلك من الأبواب في الكتاب كلها: تطبيقٌ لمرجعية الوحي، مكانةً وفقهًا. طيب وين الباب المتعلق بفقه مرجعية الوحي؟ لم يأتِ بعد، اللي هو في (أن الدين على مراتب) ومنه أخذنا قضية المركزيات.

دائمًا الواحد يتكلم عن مركزيات الدين ومركزيات الشريعة، من أين أخذها؟ أخذها من معنى أن الدين أصلًا على مراتب، فهناك من هو أهم من غيره من الدين نفسه. ومنه البابُ الذي معنا وهو (مركزيّة التزكية)، فهذا الباب ممكن في الطبعات القادمة نضعه قبل باب (مركزية التزكية)، فيكون ما بعد باب (أن الدين على مراتب): كله تطبيق للأبواب الخمسة، فتكون الأبواب الخمسة الأولى هي الأبواب التي يعتمد عليها بقية الكتاب.

طيب ننتقل الآن للباب الذي قرأناه، باب (مركزية التزكية)، الآن مركزية التزكية هي تطبيق، سيأتي فيه شرف العلم ومركزية العمل.. كلها تطبيقات لأهمية مرجعية الوحي، مراعاةً لأحد أمرين:

1. مركزية القضية في الدين.
2. خطورتها وأهميتها في الواقع.

لأنه من البداية ذكرتُ أن هذا المتن مجموع ومُراعى فيه إشكالات الواقع على قسمين:

1. الاستقامة الفرديّة: الواقع المتصل بالفرد، في ذاته وفي استقامته وفي ثباته وسط فتن الشهوات والشبهات.
2. الواقع المتصل بالإصلاح: والمشكلات المرتبطة بالأمَّة.

طيب؛ فبابٌ في مركزية التزكية، -التزكية هي أول المركزيات المطبقة في هذا الكتاب- وأن عليها مدار الفلاح، وأهمية أعمال القلوب وأن هذه القضية؛ قضية في غاية الأهمية، وفي غاية الخطورة.

نعم.

▪ الآيات بالباب وتعليق الشيخ عليها:

القارئ:

قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}[64]. وقال سبحانه: {جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ}[65]. وقال سبحانه: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[66].

وقد وصف الله تعالى وظائف رسوله التي بعث بها، فجعل التزكية أساسًا فيها فقال: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ}[67]. وقال: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ}[68].

نعم، بالنسبة للأحاديث لا تقرأ الأرقام اختصارًا.

---

[64] [الشمس: 9].
[65] [طه: 76].
[66] [النور: 21].
[67] [الجمعة: 2].
[68] [البقرة: 151].

طيب بالنسبة لهذه الآيات، أولًا: {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا} هذه علاقتها بمركزية التزكية: أنها مُعظَّمة، وأتت في سياق تعظيم كبير وشديد، وهو القَسَم الي قبله؛ أقسام متتالية: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} {وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا} {وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا} {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} {وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا} {وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا} {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا} فهذا بحدِّه يُعتبر دليلًا كافيًا في قضية مركزية التزكية.

وبقية الآيات كذلك، خاصة الآية الثانية: {وذلك جزاء من تزكى} أنه جُعلت التزكية ثمنًا للجنة. وكذلك في كونها من وظائف النبي ﷺ الأساسية: {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ}.

الشيخ: طبعًا التزكية بمفهومها المعلوم التي هي -مفهوم- فيه شِقٌ وجوديٌّ بنائي، وفيه شِقٌ متعلق بالنفي والتطهر والتخلص، في التزكية بشقيها.

هنا تنبيه أنه بعض أصحاب السلوك -حتى ممن ألَّفَ في السلوك وفي التزكية- ركز على الجانب الثاني: اللي هو جانب التخلية، وجانب التخلُّص من الأمراض والتخلُّص؛ حتى وصَلَت إلى قضية مراقبة الخطرات التي تخطر على القلب وما إلى ذلك، وهذا -في الحقيقة- ليس هو الأمر المركزي في التزكية، أو هو -خلينا نقول- فيه تركيز على جانب من جوانب التزكية؛ وإلا فالجانب الأساسي هو جانب بنائي في التزكية.

يعني التزكية فيها أمر مقصود لذاته أن تزيده في نفسك، ثم فيها أمر مقصود أن تُبعِده عن نفسك وعن قلبك، فلا يُكتفى في التزكية بجانب الإبعاد والتطهير، وإنما ينبغي أن يُركَّز فيها على جانب البناء والزيادة والنماء، وأهم ما يدخل في جانب الزيادة والنماء والبناء ما هو؟

أعمال القلوب: التوكل، الاعتصام، الخشية، المحبة، الإخلاص، واليقين.

هذه أعمال مقصودة لذاتها، من أهم ما يدخل في التزكية، ثم بعد ذلك التخلص من أمراض القلوب وأدواء النفوس وما يدخل في ذلك من العُجْب والكبر والشك والرياء والنفاق وما إلى ذلك، وهذا لا بد من التكامل بين الأمرين وعدم التركيز على إحداهما دون الأخرى.

وهناك خلل كبير عند طوائف من المتناولين لقضايا التزكية سواء خلل في جانب البناء، أو خلل في جانب التطهير ليس هذا موضع ذكره.

نعم، الأحاديث، عن زيد..

- **الأحاديث بالباب وتعليق الشيخ عليها:**

القارئ:

25. عن زيد عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كما كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يقولُ؛ كانَ يقولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ مِنَ العَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَن زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا"[69] أخرجه مسلم.

26. عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: " كنَّا معَ النَّبيِّ ﷺ ونحنُ فتيانٌ حزاورةٌ فتعلَّمنا الإيمانَ قبلَ أن نتعلَّمَ القرآنَ ثمَّ تعلَّمنا القرآنَ فازددنا بِه إيمانًا"[70] أخرجه ابن ماجه.

27. عن أبي هريرة رضي عنه قال رسول الله ﷺ: "التَّقْوَى هاهُنا، ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ"[71] أخرجه مسلم.

28. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "إنَّ اللهَ لَا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأمْوالِكُمْ، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم"[72] أخرجه مسلم.

29. عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: "ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ"[73] أخرجه البخاري ومسلم.

30. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "ما كانَ بيْنَ إسْلَامِنَا وبيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بهذِه الآيَةِ: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ}[74] إلَّا أَرْبَعَ سِنِينَ"[75] أخرجه مسلم.

---

[69] [صحيح مسلم: 2722].

[70] [سنن ابن ماجه: 61].

[71] [صحيح مسلم: 2564].

[72] [صحيح مسلم: 2564].

[73] [البخاري: 2051]، [صحيح مسلم: 1599].

[74] [الحديد: 16].

[75] [صحيح مسلم: 3027].

31. عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "إنَّما نَزَلَ أوَّلَ ما نَزَلَ منه –أي: القرآن– سُورةٌ مِنَ المفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ والنَّارِ، حتَّى إذَا ثَابَ النَّاسُ إلى الإسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ والحَرَامُ، ولو نَزَلَ أوَّلَ شَيءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقالوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أبَدًا، ولو نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقالوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أبَدًا، لقَدْ نَزَلَ بمَكَّةَ علَى مُحَمَّدٍ ﷺ وإنِّي لَجَارِيَةٌ ألْعَبُ: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ}[76]، وما نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ والنِّسَاءِ إلَّا وأَنَا عِنْدَهُ"[77] أخرجه البخاري.

تعليق الشيخ: هذه الأحاديث تُبيِّن مركزية التزكية وقيمتها ومكانتها من وجوه:

- أولاً: أنها دعاء من أدعية النبي ﷺ وهذا يدل على عظمتها ومكانتها: "آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَن زَكَّاهَا".
- ومن الوجوه أيضاً: أن النبي ﷺ كان يُقدِّمها في التعليم.

وهذه تكلمتُ عنها بشكل مفصل –أو يعني متوسط– قبل قليل في باب تلقي القرآن على منهاج النبوة في الشرح بصيغة أكبر، هذا الحديث الآن مُكرر، طبعًا الكتاب المتن ليس فيه أحاديث مُكررة إلا نادرًا، يمكن حديث أو حديثين تقريبًا، هذا من الأحاديث المكررة؛ لأهميته ومناسبته لقضية مركزية التزكية.

هكذا يقول جندب: " كنَّا معَ النَّبيِّ ﷺ ونحنُ فتيانٌ حزاورةٌ فتعلَّمنا الإيمانَ قبلَ أن نتعلَّمَ القرآنَ"، أول موضوع في الحلقات القرآنية، في المحاضن التربوية، أول موضوع ينبغي أن يُؤسس: هو الإيمان، التزكية، إصلاح القلوب، هذا أول موضوع.

وكما قلت يدخل فيه: مركزية الآخرة، يدخل فيه العلم بالله، يدخل فيه حقائق القرآن الكبرى، يدخل فيه قضية أعمال القلوب، هذا أول الموضوعات، وهذا وجه لإخراج الحديث في باب مركزية التزكية وكذلك قول النبي ﷺ: "التقوى ها هنا"، يعني: هذا محل التقوى هذا الأساس، ويؤكده حديث: "إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ"، هذا هو الأساس وهذا هو المنطَلَق.

---

[76] [القمر: 46].
[77] [البخاري: 4993].

وكذلك حديث عائشة الأخير: حديث عجيب ومهم ويُستفاد منه في الخطاب الدعوي، وفي خطاب التربية والإصلاح، كيف أن الله سبحانه وتعالى راعى النفوس، وهذا أمر في غاية الخطورة والأهمية بالنسبة للمُتَفقِّه: كيف أن الله سبحانه وتعالى -وهو الذي أيَّد نبيه بالمعجزات والآيات-، ومع ذلك لم يُنزل الدين جملة واحدة، وراعى التدرج بحيث أن القلوب تتهيأ لتلقي الأمر والنهي، وكما نعلم أن عامة الأمر والنهي الذي نزل في الدين: نزل في المدينة، أليس كذلك؟

وكما قالت عائشة هنا رضي الله تعالى عنها، قالت: "إنَّما نَزَلَ أوَّلَ ما نَزَلَ منه سُورَةٌ مِنَ المفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ والنَّارِ"، وهذا اللي نتكلم عنه في قضية تهيئة القلوب والإيمان، "حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام"، نعم.

بابُ شرف العلم النافع وفضله، وذمّ من لم يعمل بعلمه.

تعليق الشيخ: هذا الباب يأتي في سياق.. الآن ستأتي الأبواب متتالية في ذكر الأمور المركزية والمهمة جدًا خاصة باستصحاب ما أُلِّف الكتاب أو جُمعت الآيات والأحاديث لأجله في هذا المتن، وهو: الشاب المسلم الذي يسعى للثبات، وللوصول إلى الله سبحانه وتعالى في ظل هذا الواقع، ويسعى لأن يكون كذلك مُؤثِّرًا ومُصلِحًا، فمِن مركزيات ما ينبغي أن يعتني به هو ماذا؟ العلم.

▪ الآيات بالباب وتعليق الشيخ عليها:

القارئ:

قال الله تعالى: {وَقُل رَبِّ زِدنِي عِلمًا}[78]، وقال سبحانه: {قُل هَل يَستَوِي الَّذينَ يَعلَمونَ وَالَّذينَ لا يَعلَمونَ}[79]، وقال سبحانه: {إِنَّما يَخشَى اللَّهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ}.[80]

الشيخ: نعم، الأحاديث، واضح.

▪ الأحاديث بالباب وتعليق الشيخ عليها:

القارئ:

32. عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ"[81] أخرجه البخاري ومسلم.

33. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له" [82]أخرجه مسلم.

---

78 [طه: 114].

79 [الزمر: 9].

80 [فاطر: 28].

81 [صحيح البخاري: 71]، [صحيح مسلم: 1037].

82 [صحيح مسلم: 1631].

34. عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلمٍ لا يَنْفَعُ، ومِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشبَعُ، ومِنْ دَعْوةٍ لا يُسْتجابُ لهَا"[83] أخرجه مسلم.

35. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنَّ أوَّلَ الناسِ يُقْضَى يومَ القيامةِ عليه رجلٌ اسْتُشْهِدَ فأُتِيَ بِهِ فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعرَفَها، قال: فما عمِلْتَ فيها؟ قال: قاتَلْتُ فِيكَ حتى اسْتُشْهِدْتَ، قال: كذبْتَ، ولكنَّكَ قاتَلْتَ لأن يُقال جرِيءٌ، فقدْ قِيلَ، ثمَّ أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النارِ، ورجلٌ تعلَّمَ العِلْمَ وعلَّمَهُ، وقَرَأَ القُرآنَ، فأُتِيَ بهِ فعرَّفَهُ نِعمَهُ فعرَفَها، قال: فما عمِلْتَ فيها؟ قال: تعلَّمْتُ العِلْمَ وعلَّمْتَهُ، وقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ، قال: كذبْتَ، ولكنَّكَ تعلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ عالِمٌ، وقرأْتَ القُرآنَ لِيُقالَ: هو قارِئٌ فقدْ قِيلَ، ثمَّ أُمِرَ بِهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النارِ، ورجُلٌ وسَّعَ اللهُ عليْهِ، وأعْطاهُ من أصنافِ المالِ كُلِّهِ، فأُتِيَ بِهِ فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفَها، قال: فمَا عمِلْتَ فيها؟ قال: ما ترَكْتُ من سبيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنفَقَ فيها إلَّا أنفقْتُ فيها لكَ، قال: كذبْتَ ولكنَّكَ فعلْتَ لِيُقال: هوَ جَوَادٌ، فقدْ قِيلَ: ثمَّ أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وجْهِهِ، ثمَّ أُلْقِيَ في النارِ"[84] أخرجه مسلم.

تعليق الشيخ: نعم، هذا الباب فيه ذكر أمرين أساسيين رئيسيين متعلقين بالعلم

- الأول: في ذكر فضله ومكانته وما ينبغي أن يَنتُج عنه من الخشية والإيمان والعمل.
- الأمر الثاني: في ذمِّ مَن لم يتعامل مع العلم بناء على هذه المقاصد، يعني في ذمِّ مَن لم يتعامل مع العلم تعامُل الذي يريد أن يحقق من خلاله الخشية، والذي يريد أن يحقق من خلاله الالتزام بمقتضى هذا العلم من العمل.

فالعلم في ذاته شريف ومأمور به، ولا بد أن نفهمه أو نعمل به أو نحقق مقاصده، ثم بعد ذلك إذا لم يتحقق ذلك في الإنسان الذي يطلب العلم، فهو مستحقٌّ للذم؛ بل ومستحق للعذاب إذا وصل إلى قضية ما ذُكر في حديث أبي هريرة من أنه لم يتعلم العلم إلا ليُقال عالم.

[83] [صحيح مسلم: 2722].

[84] [صحيح مسلم: 1905].

وفي الآيات إشارة إلى هذا: {إِنَّما يَخشَى اللَّهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ}، وفي قوله سبحانه وتعالى: {قُل هَل يَستَوِي الَّذينَ يَعلَمونَ وَالَّذينَ لا يَعلَمونَ}، وهذه الآية آية عظيمة مذكورة في سياق العمل؛ لأنه هذه الآية هي ختام أي آية؟ إيش بداية الآية؟ {أَمَّن هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيلِ ساجِدًا وَقائِمًا يَحذَرُ الآخِرَةَ وَيَرجو رَحمَةَ رَبِّهِ قُل هَل يَستَوِي الَّذينَ يَعلَمونَ وَالَّذينَ لا يَعلَمونَ}.

يعلمون ماذا؟ يعلمون ما أعد الله من الثواب للمؤمنين العاملين، ويعلمون عظمة الله وما يستحقُّه من العبادة، ويعلمون علم اليقين أمر الآخرة ويعلمون عذاب الله سبحانه وتعالى، ويخافون، هذا كله العلم، هذا العلم بالآخرة وهو من أشرف العلوم، وإن من الخسارة ومن الغبن الذي قد يتحقق للكثير أو يقع فيه الكثير من طلاب العلم: ألَّا يعتنوا بالعلم المتعلق بالآخرة، لا يعتنوا بالعلم المتعلق بالآخرة، هذا خطير جدًّا.

أحياناً يُصنَّف العلم المتعلق بالآخرة أنه أمر تكميلي مُتعلِّق بالمواعظ، يعني متى ما قست القلوب، بعد ما نكتشف قسوة القلوب بمدة نبدأ نحاول نصلحها يعني أو نشعر بجفاف الروح، والانشغال بتفاصيل المسائل العلمية، المطلوب: الجمع بين الأمرين، الجمع بين المسائل العلمية والمسائل العملية، بين المسائل المتعلقة بالأحكام التفصيلية وبين المسائل المتعلقة بالآخرة -القضايا المتعلقة بالآخرة-، وهذا من صميم العلم وأساسه وشريفه.

ومن صور الإصلاح المحتاج إليها اليوم في الواقع: الإصلاح المتعلق بإضافة العلوم المتعلقة بالآخرة إلى سياقاتنا التعليمية الشرعية، وإعطائها المكانة الكبرى والأهمية القصوى.

لا ينبغي أبدًا أن يمر الطالب على العلوم الشرعية ويدرس المتون أو الشروح أو الحواشي وهو لم يمر أو لم يعتنِ عناية مستمرة ودائمة بالعلم الذي يُصلِح قلبه، ومتى ما اعتبر داخل نفسه - هذا الطالب طالب العلم- أن تلك العلوم ليست بتلك القيمة كما هي العلوم المتصلة مثلاً بالفقه ومسائل المصطلح وما إلى ذلك؛ فليعلم أنه لم يَفقه دين الله سبحانه وتعالى، لا بد أن يكون العلم المتعلق بالله من جهة: تعظيمه، والتعرِّف عليه، وخشيته، والعلم المتعلق بالآخرة، وما يرتبط بالجنة والنار والعلم القائد إلى الخوف أو الخشية ما لم يعطَ من الأهمية والمكانة مثل ما للعلوم المتصلة بالشريعة والأحكام من أهمية، فهذا فيه إشكال كبير جدًا.

طيب، الباب التالي.

بابٌ في أن الدين على مراتب متفاوتة في الأمر والنهي والخبر، وأنّ الفقه في الدين والدعوة تبع لإدراك هذه المراتب.

تعليق الشيخ: نعم، هذا الباب اللي قلت: لو كان الباب الخامس يكون أولى في الترتيب؛ لأنه هذا الباب تتأسس عليه فكرة المركزيات، هذا الباب تتأسس عليه فكرة المركزيات، وكما قلت هي -يعني خلنا نقول- فكرة أساسية ومهمة جدًّا؛ لأن -هذا يعني خلنا نقول- الكتاب المتن فيه التطبيق العملي لقضية المركزيات: مركزيات الدين، ومُراعى فيها مركزية القضية من جهة: كونها مركزية في الشريعة ومن جهة كونها إيش؟ مُهمة في الواقع.

ومتى ما اجتمع في الأمر: أن يكون مركزيًّا في الدين ومهمًّا في الواقع من جهة: وجود المخالفة والإشكال والاحتياج؛ كان ذلك أولى ما ينبغي العناية به، وكان ذلك أولى ما ينبغي العناية به.

وإن كان مركزيًّا في الشريعة وحدها ولو لم يكن فيه المخالف في الواقع فهو حريٌ بالعناية والاهتمام، جيد؟

لكن الأولوية كذلك تزداد إذا كانت المشكلة منتشرة في الواقع.

فهذه المركزيات، الواحد دائماً يكرر قضية المركزيات، البعض قد يظن أن القضية هي يعني عبارة عن -خلنا نقول- اجتهاد شخصي ولا رأي، القضية ليست كذلك؛ وإنما القضية أساس قضية تفاوت الأمر والنهي والخبر، وأن هناك أولويات في الدين ينبغي العناية بها: هو أساس شرعي، أين مُستَنده؟ مُستَنده في هذه الآيات والأحاديث التي ذُكرت، وإن كانت هذه -يعني الآيات والأحاديث- هي تعتبر قليلة جدًّا بالنسبة لما هو موجود في الكتاب والسنة من تطبيق لهذا الأمر.

لو نلاحظ أنه بابٌ في أن الدين على مراتب متفاوتة فيه كم شيء، أو كم قضية؟

الطالب: ثلاثة.

الشيخ: ثلاثة: الأمر والنهي والخبر، إذًا الآيات والأحاديث ستكون بعضها متعلقة بإثبات التفاوت في الأمر، وبعضها بإثبات التفاوت في النهي، وبعضها بإثبات التفاوت في إيش؟ في الخبر، وأن الفقه في الدين تبع لإيش؟ لإدراك هذه المراتب، ومن ثم إجراء العمل على ضوء هذا التفاوت واضح؟

طيب، يعني هناك مطالب متعددة في الباب، المفترض أنها تتحقق من خلال الآيات والأحاديث؟ طبعًا أنا حقيقةً حرصتُ في هذا المتن أنه الأصل أن تكون الدلالة واضحة ومباشرة في الآيات والأحاديث، غير متكلَّفة، جيد؟ في أنه تكون الآيات والأحاديث دالَّة على مضمون الباب، فهنا الباب يتحدث عن التفاوت في الأمر والنهي والخبر، وعلى أن الفقه في الدين في إصابة هذه المراتب، جيد؟ فستكون الآيات والأحاديث شيء منها في إثبات التفاوت في الأمر، شيء منها في إثبات التفاوت في النهي، شيء منها في إثبات التفاوت في الخبر، وشيء منها في إثبات إيش؟ أن الفقه في الدين تبع لإدراك هذه المراتب.

طيب، نعم.

- **الآيات بالباب وتعليق الشيخ عليها:**

القارئ:

قال الله تعالى: {الَّذينَ يَجتَنِبونَ كَبائِرَ الإِثمِ وَالفَواحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ}[85]، وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ}[86]، وقال سبحانه: {إِن تَجتَنِبوا كَبائِرَ ما تُنهَونَ عَنهُ نُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم}[87].

- **الأحاديث بالباب وتعليق الشيخ عليها:**

36. عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "يا أبا المُنذِرِ، أتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِن كِتابِ اللهِ معكَ أعْظَمُ؟ قالَ: قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ. قالَ: يا أبا المُنْذِرِ أتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِن كِتابِ اللهِ معكَ أعْظَمُ؟ قالَ: قُلتُ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}[88]، قالَ: فَضَرَبَ في صَدْرِي، وقالَ: واللَّهِ لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المُنْذِرِ"[89] رواه مسلم، والعلم المِمتدَح هنا هو بإدراك أعلى الآيات القرآنية مَرتبةً.

[85] [النجم: 32].
[86] [النساء: 48].
[87] [النساء: 31].
[88] [البقرة: 255].
[89] [صحيح مسلم: 810].

37. عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: "كُنْتُ أُصَلِّي في المسْجِدِ، فَدَعانِي رَسولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فقالَ: ألَمْ يَقُلِ اللَّهُ: {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ}[90]؟ ثُمَّ قالَ لِي: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هي أعْظَمُ السُّوَرِ في القُرْآنِ قَبْلَ أنْ تَخْرُجَ مِنَ المسْجِدِ، ثُمَّ أخَذَ بيَدِي، فَلَمَّا أرادَ أنْ يَخْرُجَ قُلتُ له: ألَمْ تَقُلْ: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هي أعْظَمُ سُورَةٍ في القُرْآنِ؟ قالَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}: هي السَّبْعُ المثانِي، والقُرْآنُ العَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ"[91] رواه البخاري.

38. عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ: "أيُّ العَمَلِ أفْضَلُ؟ فَقالَ: "إيمَانٌ باللَّهِ ورَسولِهِ، قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قالَ: الجِهَادُ في سَبيلِ اللَّهِ قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ"[92] أخرجه البخاري ومسلم.

39. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "بُنِيَ الإسْلَامُ علَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ"[93] أخرجه البخاري ومسلم.

40. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: "إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ"[94] أخرجه البخاري.

41. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الموبِقاتِ، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ وما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللَّهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المحْصَناتِ المؤْمِناتِ الغافِلاتِ"[95] أخرجه البخاري ومسلم.

[90] [الأنفال: 24].
[91] [صحيح البخاري: 4474].
[92] [صحيح البخاري: 26]، [صحيح مسلم: 83].
[93] [صحيح البخاري: 8]، [صحيح مسلم: 16].
[94] [صحيح البخاري: 6502].
[95] [صحيح البخاري: 2766]، [صحيح مسلم: 89].

42. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: "إنَّ مِن أكبَرِ الكَبائِرِ أنْ يَلعَنَ الرجُلُ والِدَيه، قيل: يا رسولَ اللهِ وكيفَ يَلعَنُ الرجُلُ والِدَيهِ؟ قال: يَسُبُّ الرجُلُ أبَا الرجُلَ، فيَسُبُّ أباه ويَسُبُّ أُمَّه"[96] أخرجه البخاري ومسلم.

43. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إلى اليَمَنِ: إنَّكَ سَتَأْتي قَوْمًا أهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إلى أنْ يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّهَ قدْ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّهَ قدْ فَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِن أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ علَى فُقَرَائِهِمْ"[97] أخرجه البخاري ومسلم.

تعليق الشيخ: نعم، هذا الباب كما أسلفت: فيه إثبات هذه الأمور الثلاثة، أو إثبات الأمرين: إثبات التفاوت في الأمر والنهي والخبر، وإثبات أن الفقه في الدين تبع إدراك هذه المراتب، طبعًا عندنا في إثبات التفاوت في الأمر، إيش النصوص الواردة فيه؟ في الأمر: "أي العمل أفضل؟" فقدَّم ماذا؟ الإيمان، ثم الجهاد، ثم الحج أليس كذلك؟ وكذلك إيش من النصوص في تفاوت الأمر؟ "بني الإسلام على خمس" صح ولا لا؟ طيب، وكذلك تقديم الفرائض على النوافل في: "وما تقرب إلي عبدي"، طيب.

بالنسبة للتفاوت في النهي، أول شيء الآيات: {الَّذينَ يَجتَنِبونَ كَبائِرَ الإِثمِ}[98]، و{إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ}[99]، {إِن تَجتَنِبوا كَبائِرَ ما تُنهَونَ عَنهُ}.[100]

وكذلك في الأحاديث، مثل إيش؟ "اجتنبوا السبع الموبقات"، وكذلك "إن من أكبر الكبائر" أليس كذلك؟ واضحة في إثبات التفاوت، جيد؟ في النهي، طب التفاوت في الخبر؟ "أي آية من كتاب الله معك أعظم؟".

الطالب: "ولأعلمنك."

---

[96] [صحيح البخاري: 5973]، [صحيح مسلم: 90].
[97] [صحيح البخاري: 1496]، [صحيح مسلم: 19].
[98] [النجم: 32].
[99] [النساء: 48].
[100] [النساء: 31].

الشيخ: "ولأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن".

الطالب: "أي العمل".

الشيخ: لا، "أي العمل" هذا التفاوت في الأمر.

طيب، إذًا هذا إثبات التفاوت في الأمر وفي النهي وفي ماذا؟ وفي الخبر، الآن هذا المطلب الأول في الباب وتم، اللي هو مطلب إيش؟ إثبات التفاوت، المطلب الثاني ماذا كان؟ أن الفقه في الدين تبع لإدراك هذه المراتب، الحديث الأساسي فيه هو ماذا؟ "ليهنك العلم أبا المنذر" على ماذا قال له النبي ﷺ: "ليهنك العلم؟" على أي شيء؟ لأي شيء؟؛ لأنه أدرك التفاوت في هذه المقامات وأصاب في أن آية الكرسي هي أعظم الآيات في كتاب الله؛ نظراً لفقهه المتعِّلق بأن العلم بالله هو أشرف العلوم وما يتعلّق بالله هو أعظم المتعلقات، وبعد ذلك استنبط أن آية الكرسي هي تدل على ذلك فقدَّمها فقال له النبي ﷺ: "والله ليهنك العلم أبا المنذر".

هذا من حيث التصور، طيب من حيث الدعوة: ينبغي أن تكون الدعوة يعني مترتبة على إدراك هذه المراتب هذا في أي حديث؟ آخر حديث اللي هو: "إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ".

هكذا الكتاب، الباب مترابط، واضح إثبات التفاوت ثم إثبات أن الفقه في الدين هو في إصابة هذه المراتب سواء من حيث التصوّر أو من حيث إيش؟ الدعوة، من حيث التصور في النفس أو من حيث الدعوة إلى ذلك، فهكذا اكتمل الاستدلال على هذه القضية وكما قلت هذا الباب هو الباب الذي تنطلق منه بقية أبواب الكتاب، أبواب الكتاب هي مبنية على هذه الفكرة التي في الباب: أن الدين متفاوت المراتب في الأمر والنهي والخبر وأن الفقه في الدين في إصابة أعلى هذه المراتب من جهة التصور ومن جهة الدعوة والعمل.

وهذا كله نابع أيضًا عن تعظيم مرجعية الوحي وبالتالي ما ذُكر قبل قليل من مركزية التزكية هو تطبيق لهذا، جيد؟ وما ذكر من شرف العلم ومكانته وأهميته فهو تطبيق لهذا، وما سيأتي الآن في الباب التالي الذي هو في مركزية العمل مُنطلِقٌ كذلك من هذا، وطبعًا ليس بالضرورة الارتباط المباشر تمامًا بهذا الباب، ولكن هي هذه الفكرة الأساسية.

بابٌ في مركزية العمل وأنه المقصود من العلم وتربية النبي ﷺ أصحابه على العمل وإبعاده إياهم عن القيل والقال وكثرة السؤال.

تعليق الشيخ: نعم، هذا الباب أيضًا باب مهم جدًا في سياق تنشئة المسترشد و المستهدي، الطالب الثبات، الطالب الاستقامة، الطالب الإصلاح: أن من أولى ما ينبغي أن يتربى عليه ما ربَّى النبي ﷺ عليه أصحابه من: إبعادهم عن القيل والقال وكثرة الكلام وكثرة كذا، والتركيز على قضية العمل، وإنه ترا الدين واسع وفيه تفاصيل كثيرة وأن المطلوب الأساسي أن ينطلق الإنسان في الدين انطلاق من يريد أن يعمل، وأنك لو عملت بما علمت؛ لربما سقط عنك كثير مما يعني ما يريد الإنسان أن يسأل لأجله أو يعني يتردد، وسقطت كثير من الأمور التي تبعث على الاضطراب والشك؛ لأن القضية هي قضية -في الأساس- قضية عملية، ولا بأس أن يسأل الإنسان عمّا يُشكل عليه؛ ولكن ليس هذا هو المركزي، المركزي هو العمل، والعمل الواضح عملٌ كثير جدًا في الدين ينتظم الفرائض واجتناب المحرمات بالاعتبار الأوّلي.

- **الآيات بالباب وتعليق الشيخ عليها:**

القارئ:

قال الله تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا تَسأَلوا عَن أَشياءَ إِن تُبدَ لَكُم تَسُؤكُم}[101]، وقال سبحانه: {قُل ما أَسأَلُكُم عَلَيهِ مِن أَجرٍ وَما أَنا مِنَ المُتَكَلِّفينَ}[102]، وقال سبحانه: {وَما أُريدُ أَن أُخالِفَكُم إِلى ما أَنهاكُم عَنهُ إِن أُريدُ إِلَّا الإِصلاحَ مَا استَطَعتُ}[103]، وقال سبحانه عن موسى ﷺ: {وَأَنا أَوَّلُ المُؤمِنينَ}[104]، وقال عن محمد ﷺ: {وَأَنا أَوَّلُ المُسلِمينَ}[105].

تعليق الشيخ: نعم، هذه الآيات فيها بيان أمرين:

- أولاً: فيها بيان يعني الإبعاد عن قضية ما قد يتعارض مع العمل أو يؤخره.

[101] [المائدة: 101].
[102] [ص: 86].
[103] [هود: 88].
[104] [الأعراف: 143].
[105] [الأنعام: 163].

- وفيها بيان أنه قبل ما احنا نقول أن النبي ﷺ ربّى أصحابه على العمل؛ ترا هو النبي ﷺ وأنبياء الله قبله هم أصلاً هذا منطقُهم الذي عاشوا عليه، وحتى لو نظرت إلى سيرة النبي ﷺ في ذاته ستجد أنها سيرة كلها عمل أليس كذلك؟ كلها عمل.

فهنا الآيات: {وَما أُريدُ أَن أُخالِفَكُم إِلى ما أَنهاكُم عَنهُ}، ترا أنا أول العاملين يعني، إذا نهيتكم عن شيء ستجدون أنني أول ملتزم بالابتعاد عن هذا النهي، وإذا أمرتكم بشيء ستجدونني أول ممتثل لهذا الأمر، {وَما أُريدُ أَن أُخالِفَكُم إِلى ما أَنهاكُم عَنهُ إِن أُريدُ إِلَّا الإِصلاحَ مَا استَطَعتُ}، فهذه دعوتي.

ولذلك هذا المنطق الذي يجب أن يسير عليه المصلحون والعاملون الدعاة وإذا لم يكونوا أول الناس عملاً فهم مخالفون لمنهج الأنبياء، إذا لم يكن شعار المصلحين وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ها؟ فقد تنكَّبوا طريق الأنبياء في الدعوة والإصلاح.

ثم النبي ﷺ، {وأنا أول المسلمين}[106]، وفي موسى عليه السلام {وأنا أول المؤمنين}[107]، هذا هو هدي الأنبياء، العمل المبادرة دائماً الأول، دائمًا أول الممتثلين أول المستجيبين.

نعم.

- **الأحاديث بالباب وتعليق الشيخ عليها:**

القارئ:

44. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "ما نَهَيْتُكُمْ عنْه فَاجْتَنِبُوهُ، وما أَمَرْتُكُمْ به فَافْعَلُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ، فإنَّما أَهْلَكَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ، كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ علَى أَنْبِيَائِهِمْ"[108] أخرجه البخاري ومسلم.

45. عن كاتب المغيرة بن شعبة قال كتب معاوية إلى المغيرة اكتب إليَّ بشيء سمعته من رسول الله ﷺ فكتب إليه إني سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: "إنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قيلَ وقالَ، وإضَاعَةَ المالِ، وكَثْرَةَ السُّؤَالِ"[109] أخرجه البخاري ومسلم.

---

[106] [الأنعام: 163].
[107] [الأعراف: 143].
[108] [صحيح مسلم: 1337].
[109] [صحيح البخاري:1477].

46. عن نوّاس بن سمعان رضي الله عنه قال: "أَقَمْتُ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ بالمدِينَةِ سَنَةً ما يَمْنَعُنِي مِنَ الهِجْرَةِ إِلَّا المسْأَلَةُ، كانَ أَحَدُنَا إذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عن شيءٍ"[110] أخرجه مسلم.

47. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا"[111] أخرجه مسلم.

48. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "بادِرُوا بالأعْمالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، والدُّخانَ، ودَابَّةَ الأَرضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِها، وأمْرَ العامَّةِ، وَخُوَيْصَّةَ أحَدِكُمْ"[112]أخرجه مسلم.

49. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أوْ لِيَصْمُتْ"[113] أخرجه البخاري ومسلم.

تعليق الشيخ: طيب، بالنسبة لهذه الأحاديث فهي كذلك تؤكد هذا المعنى العملي الواضح في سنة رسول الله ﷺ، وأن النبي ﷺ ربَّى أصحابه على هذا المعنى.

ومن أوضح الأحاديث في ذلك من حيث التأصيل النبوي لهذا المعنى هو "ما نَهَيْتُكُمْ عنْه فاجْتَنِبُوهُ، وما أَمَرْتُكُمْ به فافْعَلُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ، فإنَّما أَهْلَكَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ، كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ علَى أَنْبِيَائِهِمْ".

ولذلك جاء في الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: "ما ضَلَّ قومٌ بعدَ هُدًى كانوا عليهِ إلَّا أوتوا الجدَلَ"[114]، ومن أعظم أصلًا يعني تمثُّلات هذا الضلال هو ترك العمل والاشتغال بالجدل، ومن كان على هذا الطريق فلينتبه وليحذر وليعلم أن هذا أمر حَذَّر منه النبي ﷺ.

---

110 [صحيح مسلم: 2553].

111 [صحيح مسلم: 118].

112 [صحيح مسلم: 2947]

113 [أخرجه البخاري: 6018، ومسلم: 47].

114 [صحيح الترمذي: 3253]

من علامات عدم التوفيق أن تكون مسيرة الإنسان مسيرة كلام، قيل وقال وهذا أحسن وهذا كذا وهذا عنده خطأ وهذا عنده مخالفة وهذا عنده مدري ايش وكذا، ثم إذا رأيته بعيداً عن العمل فاعلم أنه غير مهدي، أعلم أنه قد يعني ضل الطريق.

أما النبي ﷺ فكان يربي أصحابه على معنى العمل حتى في أشياء ترى بسيط "إن الله كتب عليكم الحج فحجوا، قال رجل يا رسول الله أفي كل عام؟"[115] حتى هذه أفي كل عام؟ ما أحبها النبي ﷺ، وما أراد أن يكون المنطق إنه خلاص الأمر واضح "إن الله كتب عليكم الحج فحجوا".

لو قال في كل عام سيلزم بشيء، فعقَّب النبي ﷺ بهذا ويبين أنه هذا سبب هلاك أو سبب هلكة، "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ، كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ علَى أَنْبِيَائِهِمْ"، هذا ربما فصلت فيه في الشرح الأساسي، يُراجع يعني حتى ما نطيل أكثر.

ومن صور تربية النبي ﷺ أن الصحابة صاروا يعلمون جميعاً إنه ترى من التحق ركب المهاجرين إلى النبي ﷺ في المدينة، ها؟ وصار خلاص يعني من جملة الأصحاب الذين تركوا ديارهم وجاء مع النبي ﷺ مهاجراً.

ترى فيه معيار معين، يعني بالتعبير احنا نقول ثقافة معيارية معينة في هذه المجموعة، في هذه الصُّحبة، في أتباع النبي ﷺ، هذه الثقافة المعيارية أنه النبي ﷺ ما يحب كثرة السؤال، فلذلك كان مما يُمنع الإنسان بسببه من السؤال أن يكون قريبًا من النبي ﷺ ، جيد؟

طبعًا هذا فيها ضوابط ليس المقصود أنه ما يسأل ولا سؤال، لكن الأساس أنهم يعلمون كراهية النبي ﷺ للأسئلة خاصة فيما نزل فيه الشرع، أمور واضحة، عندك أمر ونهي لا تسأل، امتثل، ليكن المنطق الذي تسير فيه في فهم الدين هو التطبيق.

وحقيقة أن الإنسان يواجه أسئلة كثير، أحيانًا الإنسان يعني يُقرِّر محاضرة في قضية معينة واضحة فيها أدلة كثيرة يأتي سؤال عن جزئية معينة، طيب أنا مثلًا كيف ما..

الإنسان يتعود شوف يعني سبحان الله، تصبح النفس أصلًا كليلة، يعني ما تصبح النفس منطلقة إلى العمل، نفس متعودة على السؤال كأنه الإنسان يعني خلاصة ما يريد الوصول إليه هو أن يسأل، هذا إشكال كبير جدًا.

---

[115] [مستدرك الحاكم: 3169]

بينما تربية النبي ﷺ لأصحابه بخلاف ذلك، هذا في حديث النوّاس، "أَقَمْتُ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ بالمدِينَةِ سَنَةً ما يَمْنَعُنِي مِنَ الهِجْرَةِ إلَّا المسْأَلَةُ، كانَ أَحَدُنَا إذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عن شيءٍ".

وهذا طبعًا فيه تفريق في تعامل النبي ﷺ -باصطلاحنا المعاصر- بين النخبة وبين يعني خلنا نقول عامة الناس، في فرق في التعامل هذه النخبة القريبة تُمنَع من أشياء لا يمنع منها الطبقة الواسعة العامة.

فهذا أتى للمدينة رضي الله تعالى عنه النوّاس ليس بنية الهجرة، ها؟ فقط حتى ما يُمنَع من المسألة، يأتي يسأل النبي ﷺ طبعًا الصحابة بالنسبة للقريبين كانوا يحبون أن يسمعوا مثل هذه الأسئلة كما قال أنس في البخاري "كان يُعجِبُنا أنْ يأتِيَ الرَّجُلُ الأعرابيُ العاقل فيسألَ النبيَّ ﷺ" فيعني يستفيد الصحابة من مثل هذا المعنى.

وكما قلت هذا ليس نهيًا عن المسألة بإطلاق، كان الصحابة يسألون حتى القريبين يسألون النبي ﷺ عن بعض الأسئلة، فالأسئلة تختلف هناك أسئلة استرشاد النبي ﷺ.

يعني يمكن للإنسان أن يقول أنه يحب هذه الأسئلة، اللي هي أنه الإنسان سالك في طريق الآخرة ويسأل عن بعض يعني ما يزيده قربًا مما هو أصلًا هو سالك، اليوم مثلًا "عَلِّمْنِي دُعَاءً أدْعُو به في صَلَاتِي"[116]، "دُلَّني على عَمَلٍ يُقَرِّبُني منَ الجَنَّةِ، ويُباعِدُني منَ النَّارِ"[117].

وهذه لو تلاحظ أسئلة صادرة من القريبين اللي هو أبو بكر الصديق، ومعاذ بن جبل، ومثل هذه الأسئلة يعني يمكن لنا أن نستنبط أن النبي ﷺ يحبها، وأنها موجودة فيهم، لكن النبي ﷺ ما يحب الأسئلة إنه تأتي قضية فيها أمر وفيها نهي طيب كيف لو كان كذا؟ طيب ماذا لو كان كذا؟

والصحابة ورثوا منه هذا المعنى ولذلك في الحديث المشهور لما ذكر ابن عمر تقبيلَ الحجر الأسود، فقال رجل: يا ابن عمر أرأيت إن زُحمتُ؟ تمام؟ وهذه أسئلة كثير اليوم من الطلاب وما أدري ايش، تمام؟

---

[116] [صحيح البخاري: 6326]

[117] [سنن الدارقطني: 2055]

يجي التقرير الحين: تقبيل الحجر الأسود سُنّة تمام؟ جاء واحد طب: أرأيت إن زُحِمتُ، احنا بالنسبة لنا سؤال منطقي عادي، طب لو كان فيه زحمة؟ فقال له ابن عمر: " اجْعَلْ أَرَأَيْتَ بِاليَمَنِ"[118] ،كان رسول الله ﷺ إذا طاف بالبيت يقبل الحجر الأسود.

نقطة خلاص يعني هذا هو المطلوب قبِّل الحجر الأسود، استطعت استطعت، ما استطعت يا أخي كمل طوافك وامشي خلاص يعني.

لا يصير القضية أنه الإنسان دائمًا كل ما يخطر في ذهنه سؤال، طب لو كان كذا؟ طيب لو ما قدرت؟ طيب لو صار كذا؟ أنت تتكلم مثلًا عن الدعوة إلى الله وما أدري ايش وكذا يأتيك سؤال:

طيب، لكن أنا عندي، البيئة اللي عندي فيها مشكلة كذا، تقوله تمام طيب، مشكلة كذا نتعامل معها بهذه الطريقة.

طيب لو ما وافقوا؟ لو ما استجابوا هذه؟

دائماً تتكرر الأسئلة ترى طب لو ما استجابوا ايش أسوي؟ طب أنا ايش تبغاني أقول لك؟ ايش تبغاني أقول لك؟ تمام؟ اه يا ماشي طيب يلا اصبر وكمل إن شاء الله لين ما..

يعني المنطق هذا ليس منطقًا صحيحًا، وإنه منطق الإنسان يتقي الله ما استطاع ويعمل بما استطاع.

من الأحاديث التي في هذا الباب وهي مهمة اللي هي "بادِرُوا بالأعْمالِ"، من أعظم ما تُستقبَل به الفتن من حيث من لمن أراد الوقاية لمن أراد النجاة من الفتن، من أعظم ما تُستقبَل به الفتن من حيث الوقاية اللي هو ايش؟ العمل، "بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا"، "بادِرُوا بالأعْمالِ سِتًّا".

نعم، ثم الحديث الجامع المانع "مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ".

نعم، الباب التالي.

---

[118] [صحيح البخاري: 1611]

بابٌ في صدق النية وأن العمل المقبول هو ما ابتُغيَ به وجه الله ووافق السُنَّة.

القارئ:

الباب التاسع باب في صدق النية وأن العمل المقبول هو ما ابتُغيَ به وجه الله ووافق السُنَّة.

تعليق الشيخ: نعم، هذا متصل أكثر شيء بأي باب؟

متصل بالتزكية، يعني من أعظم صور التزكية ماذا؟

الإخلاص لله سبحانه وتعالى، هذا الباب والذي يليه هما بابان في قضية الإخلاص، على أن هناك فرقًا يعني بين البابين، فرقًا دقيقًا يعني لكن هو في الأخير هي تطبيق لقضية التزكية.

نعم.

- **الآيات والأحاديث بالباب وتعليق الشيخ عليها:**

القارئ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُل إِنَّما أَنا بَشَرٌ مِثلُكُم يوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُم إِلٰهٌ واحِدٌ فَمَن كانَ يَرجو لِقاءَ رَبِّهِ فَليَعمَل عَمَلًا صالِحًا وَلا يُشرِك بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}[119]

50. عَنْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّة وإنَّما لِامرئٍ ما نوى فمن كانت هجرتُهُ إلى اللَّهِ ورسولِهِ فَهجرتُهُ إلى اللَّهِ ورسولِهِ ومن كانت هجرتُهُ إلى دنيا يصيبُها أو امرأةٍ يَتزوَّجُها فَهجرتُهُ إلى ما هاجرَ إليْهِ"[120] أَخْرَجَهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ.

51. عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قال اللهُ تعالَى: أنا أغْنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ، مَنْ عمِلَ عملًا أشرك فيه معِيَ تركتُهُ وشِركَهُ"[121] أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

52. عَنْ سَعْدِ ابْنُ أَبِي وَقَاصُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إنَّكَ لن تُنْفِقَ نفقةً تبتَغي بها وجهَ اللهِ إلَّا أُجِرْتَ بها حتَّى ما تجعلُ في فيِّ امرأتِكَ" أَخْرَجَهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ.

---

[119] [الكهف: 110]

[120] [صحيح مسلم: 1907، صحيح البخاري: 54].

[121] [صحيح الجامع: 4313].

53. عَنْ عِتبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "فإنَّ اللَّهَ قدْ حَرَّمَ علَى النَّارِ مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بذلكَ وجْهَ اللَّهِ" أَخْرَجَهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ.

54. عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "قلتُ يا رسولَ اللَّهِ من أسعدُ النَّاسِ بشفاعتِك يومَ القيامةِ؟ فقال: لقد ظننتُ يا أبا هريرةَ أن لا يسألُني عن هذا الحديثِ أحدٌ أولى منكَ لما رأيتُ من حرصِك على الحديثِ، أسعدُ النَّاسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ من قال لا إلهَ إلَّا اللَّهُ خالصًا من قِبَلِ نفسِهِ"[122] أخرجه البخاري.

55. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ما مِن أحَدٍ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِن قَلْبِهِ، إلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ علَى النَّارِ"[123] أخرجه البخاري ومسلم.

56. عن عائشة رضي الله عنها قالت "قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ابنُ جُدْعانَ كانَ في الجاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، ويُطْعِمُ المِسْكِينَ، فَهلْ ذاكَ نافِعُهُ؟ قالَ: لا يَنْفَعُهُ، إنَّه لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتي يَومَ الدِّينِ"[124] أخرجه مسلم.

57. عن أبي كبشه الأنماري رضي الله أنه سمع رسولُ اللهِ ﷺ يقول: "أحدِّثُكم حديثًا فاحفظوهُ"، فقالَ: "إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفر: عبدٍ رزقَهُ اللَّهُ مالًا وعلمًا فهوَ يتَّقي ربَّهُ فيهِ ويصلُ فيهِ رحمَهُ ويعلمُ للَّهِ فيهِ حقًّا فَهذا بأفضلِ المنازلِ، وعبدٍ رزقَهُ اللَّهُ علمًا ولم يرزقْهُ مالًا فَهوَ صادقُ النِّيَّةِ يقولُ لو أنَّ لي مالًا لعملتُ فِهِ بعملِ فلانٍ فَهوَ بنيَّتِهِ فأجرُهما سواءٌ، وعبدٍ رزقَهُ اللَّهُ مالًا ولم يرزقْهُ علمًا فَهُو يخبطُ في مالِهِ بغيرِ علمٍ لا يتَّقي فيهِ ربَّهُ ولا يصِلُ فيهِ رحمَهُ ولا يعلمُ للَّهِ فيهِ حقًّا فهذا بأخبثِ المنازلِ، وعبدٍ لم يرزقْهُ اللَّهُ مالًا ولا علمًا فَهوَ يقولُ لو أنَّ لي مالًا لعملتُ فيهِ بعملِ فلانٍ فَهوَ بنيَّتِهِ فوزرُهما سواءٌ"[125] أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي.

58. عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ عَمَلِ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"[126] أَخْرَجَهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ.

---

[122] [صحيح البخاري: 99].

[123] [أخرجه البخاري: 128، ومسلم: 32]

[124] [صحيح مسلم: 214].

[125] [أخرجه الترمذي: 2325].

[126] [أخرجه البخاري: 2697، ومسلم: 1718 باختلاف يسير].

59. عَنْ أَنَسِ ابْنُ مَالِكُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بالمدِينَةِ، ما سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ معنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ"[127] أَخْرَجَهُ الْبُخَارِي.

60. عَنْ سَهْلٍ اِبْنُ ابْنِ حُنَيفٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "من سألَ اللَّهَ الشَّهادةَ بِصِدقٍ، بلَّغَه اللَّهُ منازلَ الشُّهداءِ، وإن ماتَ علَى فراشِه"[128] أَخْرَجَهُ مُسْلِمُ.

تعليق الشيخ: هذا باب عظيم، الأحاديث التي فيه أحاديث عظيمة وعجيبة، وهي من جملة نصح النبي ﷺ لهذه الأمة، يعني من أعظم ما نصح النبي ﷺ به أمته أنه أرشدهم إلى أهمية ابتغاء وجه الله بالعمل، وأن العمل إذا لم يبتغي به وجه الله فهو غير مقبول.

هذا من أعظم النصح ومن أعظم ما ينبغي أن ينصح به ورثةُ الأنبياء عامةَ الناس والمسلمين أن ينصحوهم بهذه القضية، والأحاديث التي سمعناها أحاديث واضحةً وجليلةً وكبيرةً ومبينةً غاية البيان في أن الله لا يقبل العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه.

وقال سواءً في الحديث الأول "إنَّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ، وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى"، حتى ولو كان العمل بقدر الهجرة، فما بالكم لو كان العمل ما فيه تعب ولا فيه كَلفة أو كُلفة.

يعني حتى الهجرة التي فيها مفارقة الأهل والمال وكذا، إذا لم تكن لله ولرسوله فإنها غير مقبولة، "فمن كانت هجرتُهُ إلى اللَّهِ ورسولِهِ فَهجرتُهُ إلى اللَّهِ ورسولِهِ ومن كانت هجرتُهُ إلى دنيا يصيبُها أو امرأةٍ ينْكحُها فَهجرتُهُ إلى ما هاجرَ إليْهِ".

وكذلك "أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ"، وأهمية أن يعني أن يكون هذا حتى في الأعمال التي قد يعني يغيب عن الإنسان فيها قضية الاستحضار، اللي هي "إنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وجْهَ اللَّهِ إلَّا أُجِرْتَ، حتَّى ما تَجْعَلُ في فِي امْرَأَتِكَ" إلى آخره من الأحاديث الواضحة.

وفي هذه الأحاديث بيان أن يعني أن الإنسان قد يصل إلى المنازل العالية بمجرد هذا الصدق الذي في القلب، إذا كان قد حال بينه وبين العمل حائل أو مانع، "فمن سأل الله الشهادة بصدق"، وهنا المعيار، "بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه"، المعيار الصدق.

---

[127] [صحيح البخاري: 2839].

[128] [صحيح ابن حبان: 3192].

و "إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفرٍ" ها؟ وفيها أن من قال ايش؟ "لو أنَّ لي مالًا" قال بس ما سوى يعني ما أنفق ما عنده فلوس أصلًا، لكن "لو أنَّ لي مالًا لعملتُ فيه بعملِ فلانٍ" قال ﷺ: "فهو بنيتِهِ فأجرُهما سواءٌ"، يعني هذا خلاصته كله ومؤدَّاه ما هو؟

أن النية وما في القلب مما يبتغيه الإنسان هو من أعظم ما يُتقرَّب به إلى الله، ومن أعظم ما ينبغي على الإنسان أن يراعيه وينظر إليه في يومه وليلته.

وهذا يحتاج إلى يعني خلنا نقول مراجعة واستدراك وتصحيح يومي، كل يوم، كل يوم يحتاج الإنسان يصحح فيه ويراجع، يصحح فيه ويراجع، يصحح فيه ويراجع.

طبعا يؤكِّد هذه المعاني كلها الباب التالي وهو باب في..

[سؤال غير مسموع]

نعم؟

أي، الحديث وارد باللفظين، نعم ابني، البخاري أخرجه باللفظين:

"إنما الأعمال بالنية"، و "إنما الأعمال بالنيات"، فلا حرج يعني من حفظ على هذا اللفظ وهذا اللفظ ما في إشكال هنا.

بابُ أهمية استحضار الغاية والحذر من مزاحمة الغايات الشريفة بالمطالب الدنيئة.

القارئ: الباب العاشر باب أهمية استحضار الغاية والحذر من مزاحمة الغايات الشريفة بالمطالب الدنيئة

تعليق الشيخ: نعم، هذا الباب سيُذكَر فيه شيءٌ من التخصيص، الباب الأول فيه تأسيس قضية صدق النية وابتغاء وجه الله، الباب هذا سيُذكَر فيه شيء من التخصيص في يعني مثلًا ما نوع ما يستحضر من النيات.

فهنا مثلًا

ستأتي الأحاديث اللي فيها قضية أنه نية، حتى في التركيز على أنواع النيات الفاسدة ما هي، فمثلًا يأتي في عمل مثل الجهاد يقاتل غضبًا، يقاتل حميةً، ها؟ فيأتي البيان التفصيلي في قضية أن تكون كلمة الله هي العليا، نعم سيأتي هذا.

- **الآيات والأحاديث بالباب وتعليق الشيخ عليها:**

القارئ:

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَمِنَ النّاسِ مَن يَشري نَفسَهُ ابتِغاءَ مَرضاتِ اللَّهِ}[129]، ومعنى يَشْرِي: يَبِيعُ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {فَالَّذينَ هاجَروا وَأُخرِجوا مِن دِيارِهِم وَأوذوا في سَبيلي وَقاتَلوا وَقُتِلوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنهُم سَيِّئَاتِهِم}[130]

الشيخ: نعم.

القارئ:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولُ اللَّهِ مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ: "مِنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[131] أَخْرَجَهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ.

---

[129] [البقرة: 207].

[130] [آل عمران: 195].

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أرأيت رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرُ وَالذِّكْرُ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا شَيْءَ لَهُ"، فَأَعَادَهَا ثَلَاثُ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَا شَيْءَ لَهُ"، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِي بِهِ وَجْهُهُ"[132] أَخْرَجَهُ النِّسَائِيُّ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "تكفل اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقِ كَلِمَتِهِ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ إِلَى مَسْكَنِهِ لِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَة"[133] أَخْرَجَهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "سُمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولَ: "مِثْلِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَعْلَمَ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يُرْجِعُهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَة"[134] أَخْرَجَهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ.

عَنْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ما ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَد لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ"[135] أَخْرَجَهُ التَّرْمِذِي وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح.

تعليق الشيخ: نعم، هذه الأحاديث أغلبها في قضية الجهاد في سبيل الله، وهي فيها بيان ما يتعلق بالباب من الحذر من مزاحمة الغايات الشريفة بالمطالب الدنيئة، ما هي المطالب الدنيئة؟ وقس على الجهاد في سبيل الله بقية الأعمال، ما هي المطالب الدنيئة؟

هنا قد يقاتل الإنسان غضبًا، يقاتل حميةً، غزا يلتمس الأجر والذكر اللي هو ثناء الناس يعني، مع بعض، يعني هو يبغى أجر ويبغى ثناء عند الناس إنه شجاع بطل كذا إلى آخره ها؟ وهنا "لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ" هذه النية، ما في باعث بعث الإنسان على أن يقوم بهذا العمل إلا هذه النية، وهذا الذي يعني يراد اللي هو استحضار أن يكون في سبيله.

---

[131] [أخرجه البخاري: 123، ومسلم: 1904].

[132] [صحيح النسائي: 3140].

[133] [أخرجه البخاري: 3123، ومسلم: 1876].

[134] [أخرجه البخاري: 2787 واللفظ له، ومسلم: 1876].

[135] [أخرجه الترمذي: 2376].

والتالي كذلك، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله.

الآن هذه مجموعة الأحاديث، طيب ماذا لو أن الإنسان لم يُصِب هذه النية الصالحة؟ وخرج يعني يقاتل حميةً أو غضبًا، أو يلتمس الأجر والذكر، ثم أُصيب أو قُتِل وسُفِك دمه، وكان قد تعب وبذل، ايش قال النبي ﷺ في حديث أبي أمامة؟

لا شيء له.

وفي حديث أبي هريرة الذي مرَّ معنا قبل ذلك؟

إنه يُسحَب في النار على وجهه، أنه "قاتَلْتَ لِيُقالَ جريءٌ، فقدْ قِيلَ"[136].

طيب نحن الآن الإنسان يذكر نفسه، الأعمال الإصلاحية، الأعمال الدعوية التصدر للناس، ها؟ كل يومين أنت مصوِّر مقطع ومحاضرة وبرنامج وكذا وإلى آخره.

ماذا بعثك على هذا العمل؟ تلتمس الأجر والذكر مع بعض؟

لا شيء لك، ها؟ لا شيء لك، تلتمس ماذا؟ ما الذي تريد؟ ما الذي تبتغيه بمثل هذا العمل؟ هنا ميدان اختبار يومي ميدان اختبار يومي وما أكثر الساقطين في هذا الاختبار، نسأل الله العافية نسألُ الله العافية وأن يجيرنا.

فهذا مجال للاختبار اليومي، ويعني هذه القضية كما قلت هي من قضايا الدين الكبرى، من قضايا الدين الكبرى قضية إخلاص الوجه وإسلامه لله سبحانه وتعالى.

ثم آخر حديث، حديث كعب بن مالك، وهو حديث عجيب عظيم شرحه الإمام ابن رجب في رسالة مستقلة كما هو معلوم: "ما ذِئبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ".

وفيه فيما يتعلق بالباب ايش؟ الحذر من مزاحمة الغايات الشريفة بالمطالب الدنيئة، من المطالب الدنيئة هنا: الحرص على المال، والشرف والسمعة والذكر، هذان الأمران الحرص عليهما ايش عاقبته؟ ايش المشكلة في هذا الحرص؟

أن إفساد هذين الأمرين للدين مثل أو أسرع من إفساد ذئبين جائعين أُرسِلا في غنم، والذئب أنتم تعرفون ايش يسوي في الغنم، يعني حتى الذئب معروف إن هو ما يأتي يأكل غنمة كذا أطرافها ويمشي، يُفسِد، يقتل هذه وهذه يعني أحيانا تدخل مثلًا أو ترى زريبة غنم ولَّا شي

---

[136] صحيح الجامع : 2014].

دخل فيها ذئب، ترى الأغنام يعني ساقطة وميتة وهذا مضروب من هنا، وهذه مضروبة من هنا وكذا وإلى آخره.

لا هنا ذئبان جائعان أُرسِلَا في غنم، ما الذي يفسد في دين الإنسان كما يفسد هذان الذئبان الجائعان حين يُرسَلا في غنم؟

حرص المرء حرص المرء على المال، وعلى الشرف، تشبيه عجيب وعظيم وهما من أعظم المطالب أو من أشد المطالب الدنيئة إفسادًا للصالحين، أو للسائرين في طريق الصلاح.

والإنسان يرى حتى في الواقع أحيانًا، وهذا غريب، يعني هناك نفوس وأنا برأيي أنه هذا من أولى ما يربى عليه الطلاب مبكرًا، حتى الآباء يربون عليه أبناءهم، اللي هو قضية العلاقة بالمال، في كثير من البشر عندها علاقة غير صحيحة بالمال، في قدر غريب من تعظيم المال وتمجيده إلى درجة أنه الإنسان فعلا قد يصل إلى أن يبيع دينه لشيء من المال، حقيقة قد يبيع دينه هذا فضلًا عن بيعه لكرامته لشرفه لمروءته، إلى آخره.

وهذا يحصل، حتى في بعض البيئات الإسلامية والبيئات الصالحة يحصل، فإذا ما ضُبِطَت العلاقة بالمال مبكرًا، إنه هذه قد يكون ترى يصل إلى حد المرض، حقيقةً يا جماعة الخير يصل إلى حد المرض القلبي، إنسان مريض ومهووس بشيء اسمه المال، وليست القضية إنه هو الآن سيموت إذا لم يأخذ هذا المال يشتري به قطعة من الخبز.

لا، الفكرة مرض يصل إلى حد قضية الزيادة الزيادة ولو شُوَيْ، واضحة الفكرة؟ وهذا يعني واضح وملموس في الواقع، وما أكثر ما يسقط أناس من أهل الخير بسبب المال، طبعًا والمال هذا كمان إذا كان الحرص في المال أدى إلى أن يتجرأ الإنسان على المال مثلًا الموضوع في سبيل الله أو للدعوة أو شيء فهذه أعظم وأعظم وأشد وأخطر وهذا مع الأسف حتى موجود في الواقع.

والنبي ﷺ تعرفون لما كان معه ذلك الغلام في خيبر فجاءه سهم فقال الناس هنيئًا له الشهادة؛ قُتِل، فقال النبي ﷺ: "كلا والله إنَّ الشملة التي غلَّها؛ -يعني أخذها قبل أن تقسم الغنائم-، لتشتعل عليه نارًا"[137].

[137] [البخاري: 6707].

وهو مع النبي ﷺ وفي سبيل الله وكذا، وهذه قضية يعني فعلًا تفسد دين الإنسان، ونفس الشيء الحرص على الجاه والشرف.

هذا الآن في كل زمان في زمن الفيس بوك والتيك توك والسناب والتويتر والهذا، يعني القضية جاهزة أصلًا، يعني الإنسان أصلًا عنده هذه القضية في نفسه، لما يجيك واقع هو أصلًا يدعو إلى الحرص هذا فأنت الآن في زمن فتنة مضاعفة.

فلذلك من سبل الوقاية التربية الأولى التربية التي في البدايات، إعادة تأسيس اهدأ شوية لا...، بالمناسبة ترى يعني بالله كذا بس تأملوا معي هذا النص في سياق كل الكلام تأملوا كذا معي تخيلوا، ها؟

النبي ﷺ يرى أصحابه في حال، هذا مسكين فقير، هو النبي ﷺ نفسه إنه يعني كانت تَمُر أحيانًا الهلال ثم الهلال ثم الهلال ما يوقد نار، تمام؟

ويأتي ذاك، وتعرفوا أبو هريرة يخرج يسأل فلان عن آية وما سأله إلا أنه رجاء أنه يطعمه جيعان بيموت ما في أكل، تمام؟

ويرى حال الصحابة والنبي ﷺ بعد ذلك إيش يقول؟

يقول: "وَاللَّهِ ما الفَقْرَ أخْشَى علَيْكُم"[138].

ترى اللي شاغل بال النبي ﷺ ليس أنه يعني ترى..، ما الفقر أخشى عليكم، وتأتيك الأحاديث الأخرى أنَّ الذي يخشاه الذي يخافه ﷺ على أصحابه أن تفتح عليهم الدنيا، تخيلوا!

يعني نحن مثلًا حتى ترى في السياق الإسلامي والإصلاحي ممكن نفكر بخلاف ذلك، عارف إنه يعني بالعكس أنت بتتمنى إنه تتوسع الأمور بالنسبة للناس الكويسة في الدنيا وكذا وإلى آخره.

---

[138] [البخاري: 6425].

تمام التوسع طبعًا هو ليس حرامًا ولا إشكال، لكن الفكرة إنه هذا التوسع ترى لا بد يكون مصحوب بخوف، والنبي ﷺ الحريص على أصحابه ذو الشفقة البالغة عليهم يخاف أن تفتح على أصحابه الدنيا، خايف يخشى.

وهذا وارد في أكثر من حديث وفي الباب في الكتاب هنا في المنهاج في باب معقود لهذا، الذي هو باب الحذر من فتنة الدنيا وكذا وإلى آخره وفيها الأحاديث.

فيعني هذه القضية خطيرة جدًّا جدًّا، ولذلك من أعظم ما يربِّى عليه الصالحون والمصلِحون هو ضبط علاقة النفس بالمال وضبط علاقة النفس بالجاه والشرف.

والمربي الصالح المفترض ينتبه لهذه القضية عند الطلاب من بدري، هذا واضح عليه إنه فيه عرق الحرص على المال هذا زايد مرَّة بحيث إنه الإنسان من بدري هو، لا فينتبه يضبط هذه القضية.

الشرف، اللي من الطلاب كل شوية "أنا، أنا، أنا" ويحاول يبرز نفسه ويحاول كل شيء، لازم المربي ينتبه لهذه القضية ويضبطها عنده، وترى مما تنضبط فيه قضية النصيحة الفردية، تعال يا ولدي أنت الآن مثلًا كذا كذا طيب لو صار كذا؟ طيب تعرف أنه كذا؟

تُضبَط هذه القضية وتعالج بحيث إنه ضبطها المبكر يعين بعد ذلك على الانضباط في المستقبل.

نحن أطلنا في هذه، لكن يعني كان لا بد، والحديث عجيب عظيم في هذا المعنى وينبغي أن يكون شعارًا تزكويًّا للمصلحين.

بابٌ في تحمُّل الفرد مسؤولية التكليف تجاه نفسه وغيره.

الشيخ: نعم.

القارئ:

الباب الحادي عشر: بابٌ في تحمُّل الفرد مسؤولية التكليف تجاه نفسه وغيره.

الشيخ: نعم، هنا نبدأ الآن، تشعرون إن نحن انتقلنا إلى أبواب موضوع جديد، صح؟

يعني الموضوعات الماضية، نحن هذا الباب الكم؟

الباب الحادي عشر، العشرة أبواب الأولى منقسمة إلى قسمين:

القسم الأول كله مرتبط بإيش؟ **بمرجعية الوحي**.

والقسم الثاني متعلق **بالاستقامة القلبية:** التزكية، صدق النية، استحضار الغاية الشريفة، صح ولَّا لا؟ العلم وفيه التركيز في العلم المتعلق بالخشية والآخرة، وكذلك العمل من جهة منطق العمل إنه الإنسان يعني يؤسس نفسه على أن يستجيب لأمر الله ورسوله، كلها نستطيع أن نجعلها تحت عنوان إصلاح الذات، جيد؟

هذه الخمسة الثانية، الآن ستبدأ مجموعة من الأبواب، ترى عدة أبواب متتالية كلها في قضية الإصلاح وتحمل المسؤولية، وهذا يؤكد المعنى الذي ذكرته، أنَّ الكتاب أصلًا مؤلف لتحقيق هاتين الغايتين، لتحقيق هاتين الغايتين للشاب المسترشد المستهدي، ما هما؟

الأولى: غاية الثبات أو الاستقامة والثبات في ظل واقع مليء بالفتن.

الغاية الثانية: غاية الإصلاح والنفع في ظل مشكلات مستحضرة في واقع الأمة، واضح؟

فما مضى كان في الأساس في قضية التزكية وهي مرتبطة بالغاية الأولى في ثبات الإنسان على طريق الاستقامة، وما سيأتي هنا فهو في الأبواب المرتبطة بالإصلاح، سيأتينا الآن باب في تحمل الفرد مسؤولية التكليف، هذه أول شيء تحمل المسؤولية.

طبعًا هنا تحمل المسؤولية بمعناها العام، التي تشمل إيش؟

تشمل الغايتين: **مسؤولية نجاة نفسك، والمسؤولية العامة**.

الباب التالي خاص في المسؤولية إيش؟

المسؤولية العامة المتعلقة بالإسلام والمسلمين.

والباب التالي الذي يليه اللي هو إيش؟

مركزية اتباع هدي الأنبياء وأهميته للمصلح.

والذي بعده فضل الإصلاح والذي بعده صفات المصلحين، والذي بعده أهمية الوعي بسبيل المجرمين، ها؟

والذي بعده العناية بالشباب وفيه وتفعيل أدوارهم في العمل للإسلام، والذي بعده دور المرأة في بث العلم ونصرة الإسلام إلى آخره.

هذه كلها الأبواب، هذا الباب رقم كم دور المرأة؟

يعني عندنا يمكن ما لا يقل عن عشرة أبواب، الآن متتالية كلها فيما يتعلق بالنفع العام، الدعوة، الإصلاح ولا تخلو طبعًا من قضية المسؤولية الذاتية وقضية الاستقامة وقضية الثبات، ثم بعدها بعد هذه نرجع إلى قضية الثبات على الاستقامة وشيء من المنهجية في ذلك.

الشيخ: طيب، تفضل.

- **الآيات والأحاديث بالباب وتعليق الشيخ عليها:**

القارئ: قال الله سبحانه وتعالى: {فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ} [139]،وقال: {وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا} [140]، وقال: {وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـٔٗا} [141]

الشيخ: نعم، أكمل.

---

[139] [النِّسَاء: 84].

[140] [مريم: 95].

[141] [البَقَرَة: 48].

القارئ:

61. عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله: "{وَأَنذِر عَشِيرَتَكَ ٱلأَقرَبِينَ}[142]، قال: قالَ: "يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ – أوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا – اشْتَرُوا أنْفُسَكُمْ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شيئًا، يا بَنِي عبدِ مَنَافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شيئًا، يا عَبَّاسُ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شيئًا، ويَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسولِ اللَّهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شيئًا، ويَا فَاطِمَةُ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي ما شِئْتِ مِن مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شيئًا"[143]. أخرجه البخاري، ومسلم.

62. عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنه– قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، الإمامُ راعٍ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ راعٍ في أهْلِهِ وهو مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ راعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِها ومَسْئُولَةٌ عن رَعِيَّتِها، والخادِمُ راعٍ في مالِ سَيِّدِهِ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ"[144]. أخرجه البخاري، ومسلم.

63. عن النَّوَّاس بن سمعان –رضي الله عنه– قال: "ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فيه وَرَفَّعَ، حتَّى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقالَ: "غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُم، إنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فأنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وإنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ"[145]. أخرجه مسلم.

64. عن عديّ بن حاتم –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: "ما مِنكُم أحَدٌ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ليسَ بيْنَهُ وبيْنَهُ تُرْجُمانٌ، فَيَنْظُرُ أيْمَنَ منه فلا يَرَى إلَّا ما قَدَّمَ مِن عَمَلِهِ، ويَنْظُرُ أشْأَمَ منه فلا يَرَى إلَّا ما قَدَّمَ، ويَنْظُرُ بيْنَ يَدَيْهِ فلا يَرَى إلَّا النَّارَ تِلْقاءَ وجْهِهِ، فاتَّقُوا النَّارَ ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ"[146]. أخرجه البخاري، ومسلم.

الشيخ: نعم، نسأل الله العافية.

---

[142] [الشعراء: 214].

[143] [أخرجه البخاري: 4771، ومسلم: 206].

[144] [أخرجه البخاري: 2554، ومسلم: 1829].

[145] [صحيح مسلم: 2937].

[146] [أخرجه البخاري: 7443، ومسلم: 1016 باختلاف يسير].

هذا الباب في إثبات أهمية أن يتحمل الإنسان مسؤولية نفسه، سواءٌ مسؤولية نفسه المتعلقة بنجاتها أو مسؤولية نفسه في التكليف تجاه الغير؛ لأن المسؤولية التي جعلها الله سبحانه وتعالى على الإنسان هي مسؤولية ذاتية ومسؤولية متعدية.

فمن المسؤولية الذاتية {لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفسَكَ}، {لَّا تَجزِي نَفسٌ عَن نَّفسٍ شَيئًا}، "اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شيئًا"، ها؟

وكذلك: "إنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فأنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وإنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ" فإيش؟

"فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ"، هذا عند فتنة الدجال وهذا طبعًا قسها على الفتن.

فامرؤ حجيج نفسه؛ أنت مسؤول عن نفسك في النجاة من الفتن، أنت مسؤول عليك مسؤولية.

وكذلك الحديث الأخير الذي هو في قضية النجاة من النار.

وفي هذا الباب أيضًا إثبات لأساس المسؤولية المتعدية، أساسها في حديث ماذا؟

"كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ"، وبالتفصيل: " الإمامُ راعٍ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ راعٍ في أهْلِهِ وهو مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ" إلى آخر الحديث.

بابٌ في المسؤوليَّة العامَّة تجاه الإسلام والمسلمين.

- **تمهيد الباب:**

الآن سيأتي الباب التالي الذي فيه ذكر المسؤولية العامة بشكل مباشر، المسؤولية العامة تجاه الإسلام والمسلمين، الباب هذا الذي قبل قليل التركيز فيه على المسؤولية الذاتية وفيه التأسيس للمسؤولية العامة.

لكن هنا هذا الباب في قضية المسؤولية العامة، والمسؤولية العامة هي قضية من قضايا الدين الأساسية، يعني على المسلم واجبات متعلقة بالمجتمع متعلقة بالأمة هناك واجبات هذه ليست فكرة بين قوسين (حركيَّة)، فكرة لشخص متحمس في الواقع.

هذه قضية شرعية، قضية إسلامية، قضية من صميم كتاب الله، ومن صميم سنة رسول الله ﷺ وستأتي الآن الآيات والأحاديث التي تدل على هذا المعنى: أنَّ على الفرد المسلم مسؤولية متعلقة بالأمة مسؤولية متعلقة بالواقع.

ونحن كما قلنا الكتاب روعي فيه المشكلات الموجودة في الواقع، في زماننا هذا يُرَاد أن تُهدَم هذه الفكرة، فكرة أن تحمل هم الأمة أن يكون لك واجبات متعلقة بالأمة وأحياناً تُحصَر أو تُنافَس بقضية يعني واجبات مثلًا وطنية إنه الإنسان يعني عليه واجبات على نفسه وعليه واجبات لوطنه بس لأمته لا ليس عليه واجبات.

لا، عليه واجبات وهذه مؤسَّسَة في كتاب الله ومؤسَّسَة في سُنَّة رسول الله ﷺ، فهدم قضية الشعور بالأمة والعناية بقضايا الأمة وكأنها هي أفكار يعني ناشئة عن جماعات ولَّا عن أفراد ولَّا عن مفكرين ولَّا عن بِدَع ولَّا عن كذا.

وللأسف بعض من ينتسب أو من يدعو إلى قضية السلف وتعظيم السلف يُبدِّع أحياناً مثل هذا الاهتمام بمثل هذه القضايا أو حتى خاصةً من يدعو إليها وكذا وكأنها قضية مخترعة بينما هي قضية من صميم الدين.

وسيأتي الآن من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة ما يدل على إثبات هذه المسؤولية وأنها مسؤولية مؤسَّسَة من مرجعية الوحي وليست مسؤولية مخترَعة.

الشيخ: نعم.

القارئ: الباب الثاني عشر: بابٌ في المسؤولية العامة تجاه الإسلام والمسلمين.

- **الآيات بالباب وتعليق الشيخ عليها:**

القارئ:

قال الله تعالى: {وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا}[147]، وقال سبحانه: {وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ}[148]، وقال سبحانه ذامًّا بني إسرائيل: {كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ}[149]، وامتدح الله هذه الأمة بقوله: {كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ}[150].

تعليق الشيخ: نعم، هذه الآيات فيها تأسيس لهذه القضية بشكل واضح، في الآية الأولى فيها تأسيس لقضية الواجب تجاه المستضعفين، المستضعفون لهم حق وعلى الأمة واجبات تجاههم.

فالله سبحانه وتعالى هنا يعاتب المؤمنين فيقول: {وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا}.

وكذلك التأسيس لقضية {وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ}، هذا في حقوق المؤمنين الذين يتعرضون للمشكلات من الأعداء، {وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ}.

---

147 [النساء: 75].

148 [الأنفال: 72].

149 [المائدة: 79].

150 [آل عمران: 110].

وكذلك في قضية الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر {كَانُواْ لَا يَتَنَاهَونَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ}، يعني ترى من موجبات ذم الله لبني إسرائيل إنه ممكن واحد منهم يكون صالح في نفسه لكنَّه موجِب الذم هو أن يترك الإنكار.

وهذه قضية يعني مع الأسف متفشية منذ زمن في زماننا، ولكنها تزداد تفشيًّا وتزداد استحكامًا في الواقع، اللي هو تأكيد إنه ليس لأحد دخل في أحد، وإضفاء بعض الألفاظ الآن استشراف وما أدري إيش وكذا، إنه كل ما أحد جاء يتكلم أو جاء ينصح أو جاء..، فيُستَهزَأ به.

لا يا عزيزي، ترى القضية متعلقة بنجاتك أنت وأنا أُحسِن إليك، يعني لو كان فيه تسريب في مياه في بيتك ولَّا فيه شيء وأتيت نبهتك ما حد يقول ما لك دخل، بالعكس الله يجزيك الخير والله إنك نعم الجار يا أخي شكرًا لك الله يجزيك الخير؛ لأن الفاتورة شغالة عليه في الموية، فهو لما يجي ينبهه فهو مبسوط تمام والله الله يجزيك الخير، ها؟

التنبيه على أي شيء من هذه الأشياء، ترى معليش انتبه ثوبك فيه شغلة من الخلف تراب ولا شيء، الله يجزيك الخير وبَيَّض الله وجهك شكرًا لك.

طيب لما آتي أنصحك في قضية تضرُّك في دينك تضرُّك في آخرتك لماذا تقابلها بـ ما لك دخل، استشراف، ملقوف، كذا، إيش دخلك، حرية، لماذا تتدخل؟ هل شققت عن قلبي؟ هل مدري إيش؟ إيش يدريك يمكن أنا أفضل من..

أحيانًا يأتيك شخص آخر هو يتدخل، يعني حتى الذي يُنصَح أحيانًا ما يتدخل، يأتيك ثالث يقول لك: ما لك دخل، إيش درَّاك؟

تنصح امرأة غير محجبة تحجبي، إيش درَّاك؟ يمكن إنها أفضل من المحجبة التي في قلبها غرور وهي من هذا، والحجاب حجاب القلب وليس حجاب البدن وما أدري إيش من الكلام، تمام؟

نشاط في الإنكار على الناصح، أحيانًا واحد يكتب تغريدة فيها نصيحة، من أكثر التغريدات التي يصير عليها اعتراض التي فيها النصيحة مثلًا مباشرة لفئة من المجتمع ولَّا شيء.

ما لك دخل إيش دخلك إيش درَّاك؟ هل تعرف عن قلوبهم؟ طيب إيش درَّاك؟ طيب أنت ما تشوف نفسك؟ طيب تشوف اللي سوى مثل هذا الفعل وما تكلمت عنه، طيب فيه واحد في دولة ثانية سوى نفس هذا الفعل وأنت ما تكلمت عنه.

لازم لما تجي تتكلم عن القضية سوي تحديد للدول كلها، أيها المخالفون في دولة كذا وفي دولة كذا وفي دولة كذا وفي دولة كذا وفي دولة كذا وتخلص اللستة حقت الدول: اتقوا الله جميعًا؛ لأنك لو قلت حدَّدت بدولة أو بمجال أو شيء أول الاعتراض، طيب ما تشوف الذي في الدولة الثانية؟

أنا عضو مراقب في الأمم المتحدة؟ إيش دخلني؟

أنا أتكلم عن مشكلة موجودة في بلد معيَّن فيه حاجة معينة في مجتمع معين أنا أُنكِر على قضية معينة، أما تكلِّفني بأنه كأني محكمة دولية أقعد أتابع في كل شيء، ها؟

فقضية إنه الإنكار على الناصح، نشاط في الإنكار على الناصح، طيب الناصح نفسه حين ينصح لماذا أنت الآن لما تنكر على الناصح أنت تراك تدخلت أيضًا، أنت الآن يعني مارست دور من الوصاية ودور من الإنكار، طيب خلاص دعه هو أيضًا يعني يقوم بمثل هذا.

على أية حال الحديث وإن كان محزنًا مضحكًا إلا أنه حقيقة مؤلمٌ جدًّا؛ لأن واقعنا من أكبر المشكلات التي فيه مشكلة تطبيع قضية الحرية الشخصية ونقد كل ما يعارضها بصورتها المادية الجامدة، وهذا خطير جدًّا، أي مجتمع توجد فيه هذه القضية وتستحكم فيه فهو مجتمع آيل إلى الهلاك بميزان الله سبحانه وتعالى.

ها؟ كيف؟

مداخلة: وعبادة المشاعر.

الشيخ: وعبادة المشاعر هذا كذلك شيء آخر، لكن قضية إنه الله سبحانه وتعالى يعني يكرر في كتابه إن من أهم أسباب النجاة: النجاة العامة أو حتى النجاة الخاصة، طبعًا في الكتاب وسنة رسول الله ﷺ قضية الإنكار، النهي عن الفساد.

ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ}[151]، يعني لولا كان فيهم بقية أناس فيهم بقية من الخير والمعروف وكذا ينهون عن الفساد في الأرض ثم استثنى قلة قلة

عملوا بهذا الدور فكان نتيجة ذلك إنه إيش الله سبحانه وتعالى عملهم؟

أنجاهم سبحانه وتعالى أنجاهم {إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ}، فهذا مؤشر خطر جدًّا في أي مجتمع من المجتمعات.

وفيه حديث السفينة الذي سيأتي، السفينة هذه التي هي المجتمع، الأمة ستغرق، إذا وُجِد من يخرق السفينة ولا يوجد أحد يُنكِر تغرق.

وكذلك حديث أبي بكر الذي سيأتي "إنَّ النَّاسَ إذا رأوا الظَّالِمَ فلم يأخُذوا على يديهِ أوشَكَ أن يعُمَّهُمُ اللَّهُ بعقابٍ منهُ"، وكذلك الحديث الذي سيأتي: "أَنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ "نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ "، لابد يدق جرس الإنذار، إذا كَثُر الخبث، ما في، لازم.

أنت أيها المنصوح تريد أن تفهم افهم ما تريد أن تفهم ترى أنا لا أنظر لك وحدك، أنا أخاف عذاب الله سبحانه وتعالى الذي يأتي، وعذاب الله ترى هذا ليس بالضرورة يكون صيحة تأخذ الجميع ولا إن يعني تحمل الأرض وتُقلَب، وإنه يُرسَل عليها حجارة من السماء.

ترى لا تزال عذاب الله وعقوباته إلى الآن يعني لم تنتهِ مع الأمم السابقة، لا تزال نفس ما يذكره الله سبحانه وتعالى من قضية العقوبة، لا تزال موجودة ولكن صورتها ليس بالضرورة أن تأخذ شكل الصيحة أو الإغراق أو الخسف وإنما قد تأخذ صيغة ماذا؟

الخوف والجوع، تسليط الأعداء {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ}[152]، الخوف بماذا؟

---

[151] [هود: 116].

[152] [النحل: 112].

تسليط أعداء، اضطرابات داخلية إلى آخره، فالعقوبات التي قد يضربها الله سبحانه وتعالى على المجتمعات هي عقوبات مختلفة ومتنوعة، من أعظم أسبابها ماذا؟

من أعظم أسبابها انتشار الفساد دون إنكار، فليست المشكلة فقط في انتشار الفساد، المشكلة في هذين الأمرين سويًّا، في انتشار الفساد مع عدم وجود النهي عنه وهذه قضية خطيرة جدًّا جدًّا جدًّا.

ولذلك من أعظم أدوار المصلحين أن يعني يقوموا بكل ما يمكنهم أن يعملوا حال انتشار الفساد، بما يمكنك، بما تستطيع، لكن أن تعطل عن نفسك هذا التكليف فهذه مصيبة، يا أخي لو افترضنا أنك ما عاد تستطيع أن تُنكِر شيئًا من الفساد إلا في حدود عائلتك وأهلك وبيتك ومن يسمع منك، تكلَّم، ربِّ، عَلِّم، أبعد هؤلاء عن الشر وعن الفساد.

لكن أن تكون يعني بارد القلب تجاه يعني خلنا نقول مثل هذا الخبث الذي يعني يمكن أن ينتشر أو ينتشر في الواقع فهذا فيه إشكال كبير.

إذن هذا الإنكار وهذه النصيحة رحمة، رحمة، ليس عذابًا، ليس اعتراضًا، ليس تدخلًا، هي رحمة، وأصلًا يعني هو ترى كل إرسال الرُّسُل هو رحمة ومن أعظم صور الرحمة هذه هي الإنقاذ من النار، الإنقاذ من النار بماذا؟

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تعرفون النبي ﷺ "أنا النَّذِيرُ العُرْيانُ"[153]، ها؟

قالَ: "فإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ"[154].

التحذير، الإنذار ثم بعد ذلك إذا أدى الإنسان ما عليه ولم تحصل استجابة فليس مكلَّفًا بتحقيق هذه الاستجابة.

---

153 [البخاري: 6428].

154 [البخاري: 4770].

- **الأحاديث بالباب وتعليق الشيخ عليها:**

الشيخ: نعم، هذه الأحاديث اقرأ.

القارئ:

65. عن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: "مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ والواقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا علَى سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أخَذُوا علَى أيْدِيهِمْ نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا"[155]. أخرجه البخاري.
66. عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ"[156]. أخرجه مسلم.
67. عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- قال: "يا أيها الناس إنّكم تَقْرؤون هذه الآية: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ}[157]، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إنَّ النَّاسَ إذا رأوا الظَّالِمَ فلم يأخُذوا على يديهِ أوشَكَ أن يعُمَّهُمُ اللَّهُ بعقابِه".[158] أخرجه أحمد في مسنده.
68. عن زينب بنت جحش -رضي الله عنها- قالت: "اسْتَيْقَظَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وجْهُهُ يقولُ: "لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ويْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هذِه -وعَقَدَ سُفْيَانُ تِسْعِينَ أوْ مِئَةً-" قيلَ: أنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ: "نَعَمْ، إذَا كَثُرَ الخَبَثُ"[159]. أخرجه البخاري، ومسلم.

---

[155] [صحيح البخاري: 2493].

[156] [صحيح مسلم: 49].

[157] [المائدة: 105].

[158] [مسند أحمد: 29].

[159] [أخرجه البخاري: 7059، ومسلم: 2880].

69. عن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "مَثَلُ المؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى"[160]. أخرجه البخاري، ومسلم.

تعليق الشيخ: نعم، هذه الأحاديث غاية الوضوح أو في غاية الوضوح والبيان في تأسيس هذا المعنى، في تأسيس المسؤولية العامة تجاه الإسلام والمسلمين، المجتمع، الأمة، وقبل ذلك في الباب الذي قبله الأسرة، "الرَّجُل راعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُو مَسْؤولٌ عَن رَعِيَّتِه".

الحديث الأول حديث النعمان بن البشير في البخاري وهو حديث السفينة وهو حديث عظيم فيه تشبيه رهيب ومثال لا يُنسَى، سبق الإشارة إليه.

وكذلك حديث أبي بكر الصديق، وحديث أبي سعيد الخدري، وحديث زينب بنت جحش رضي الله عنها، وفيه: "أَنَهْلِك وَفِينَا الصَّالِحُون" قال النبي ﷺ: "نَعَم، إِذَا كَثُرَ الخَبَث". وهذه كلها تناولتها قبل قليل بالتعليق والبيان.

بقي الحديث الأخير وهو حديث النعمان بن بشير أيضًا، وهو حديثٌ عظيمٌ جليلٌ في التأسيس، وهو -أنا برأيي- هذا الحديث فيه معيار من المعايير التي يُقيَّم بها الإنسان، يُقيَّم به الإيمان في نفس الإنسان المؤمن.

"مَثَلُ المؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى". وكأن من علامات الإيمان حصول حالة التداعي، الشعور، السهر والحمى، لأنه ذكرها النبي ﷺ مرتبطة بأي اسم؟

باسم الإيمان، فقال مثل ماذا؟ مثل المؤمنين.

طيب ماذا لو حصل ما يوجب التواد والتراحم والتعاطف ولم يحصل هذا التداعي في بقية الجسد، هذا معناه إنه في تقصير في اسم ماذا؟ في اسم الإيمان.

[160] [أخرجه البخاري: 6011، ومسلم: 2586 واللفظ له].

وبالتالي من علامات إيمان المؤمن أن يكون مُتألِّمًا لحال بقية الجسد، اللي هو بقية المؤمنين، فما أصاب بقية الجسد من آلام، فإن على بقية الجسد أن يتألم لذلك وأن يسهر لأجل ذلك، ويتداعى له.

أما إذا وصلنا إلى حال يتألم الجسد من مختلف المناطق ثم لا يُقابل هذا الألم لا بالمتابعة ولا بالحُمَّى والسهر؛ فهذا معناه أن الجسد قد حصل فيه مرض أساسي كبير جعله فاقدًا لصفة من أهم صفاته.

وإذا كان التشبيه عائدًا إلى قضية المؤمنين والإيمان وتداعيهم بموجب الإيمان، فمعنى إنه ما حصل هذا التداعي؟ يكون الإيمان أو المؤمنين قد أصيبوا بمرضٍ عظيم أساسي عطَّل وظيفة أساسية من وظائف هذا الجسد.

وبالتالي صار الاهتمام بقضايا الأمة والتداعي لها هو من موجبات؟

موجبات الإيمان، موجبات المؤمنين، ومع الأسف يعني أننا صرنا في زمن نحتاج أن نُثبت هذه الأشياء، تخيلوا يعني! تخيلوا صرنا في زمن نحتاج أن نثبت هذه الأشياء الواضحة البَيِّنة المحكمة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

والمصيبة إنه إذا حوربت هذه المفاهيم تحت اسم الدين أو حتى تعظيم بعض القضايا العقدية والقضايا الإيمانية، وتُحارَب هذه القضايا وتوصف أحيانًا بحركية، سياسة أحيانًا توصف، إنه لا نحن نهتم بكذا، أما أنتم اهتموا بهذه القضايا، على أساس إنه...، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟

لماذا يحصل التقليل من شأن هذه القضايا، وكأنها قضايا هي عبارة عن أيدولوجيات معاصرة لبعض الأحزاب والجماعات والحركات وما إلى ذلك، ماشي ممكن بعض من يهتم بهذه القضية تكون عنده أخطاء يعني ليس بالضرورة إنه كل من دعا إلى هذه القضية فهو يدعو إلى أيدولوجيا معينة ولا إلى حزب معين ولا شي.

مالكم كيف تحكمون؟ أما أنتم فهذه القضية عن الإيمان وعن الدين، وهذا من أخطر ما يمكن أن يحصل، أو بالفعل قد حصل في مثل هذا الزمان، ولذلك من واجبات المصلحين تثبيت هذا المفهوم، والمحافظة عليه والتربية عليه وتعزيزه في النفوس.

أن من واجبات الإيمان: العناية بآلام الأمة الإسلامية والتداعي لها، والأدلة على ذلك كثيرة ومذكورة في هذا البال ومن أهمها: "مَثَلُ المؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ"

متعاطف مع قضية مدري ايش من المسلمين؟ أي متعاطف.

لفظ مين؟ لفظ النبي ﷺ.

"وتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى".

وويل للمحرفين لهذا المفهوم باسم الدين وباسم الشريعة، وأحيانًا باسم السلف وما إلى ذلك، ويل للمحرفين الذين يريدون أن يبعدوا هذه القضية عن أن تكون من قضايا الدين ومن قضايا الإيمان الأساسية، وليست من حتى الفرعية.

طيب، نقف قليلًا إن شاء الله لأجل الصلاة، ثم نكمل ما يتيسر.

بابٌ في مركزية اتباع هدي الأنبياء وأهميته للمصلح في عبادته ودعوته وصبره.

الشيخ: طيب استعن بالله، وين وصلنا؟

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم.

الباب الثالث عشر: بابٌ في مركزية اتباع هدي الأنبياء وأهميته للمصلح في عبادته ودعوته وصبره.

تعليق الشيخ: نعم، طيب، هذا الباب، بعد الحمد لله وصلِّ اللهم على رسول الله.

احنا قلنا إنه بدأنا مجموعة أبواب في قضية ماذا؟ الإصلاح، أليس كذلك؟ [سكِّر الباب]

فبدأنا في قضية الإصلاح، قضية الإصلاح بدأت بموضوع المسؤولية، تأسيس المسؤولية، المسؤولية الفردية والمسؤولية تجاه الإسلام والمسلمين.

الآن نحتاج إلى الأنوار، الطريق، معالم الطريق.

شعرنا بالمسؤولية، لدينا واجبات، كيف نسير في الطريق بشكل صحيح؟ في الطريق الإصلاحي، في طريق المسؤولية العامة تجاه الإسلام والمسلمين؟

يأتي هذا الباب ليؤسس للمعلم الأعظم لمعالم الاهتداء الخاص في باب الإصلاح، ما هو هذا المعلم الأعظم؟

هَدْي الأنبياء.

فهذا الباب يؤسس لقضية أهمية اتباع هدي الأنبياء وأنه أمر مركزي، وأهمية هذا للباب للمصلح في؟ في الباب مذكور كم أمر؟

ثلاثة أمور: عبادته، ودعوته وصبره.

والصبر أكثر ما هو مرتبط بماذا؟

بالدعوة، أكثر ما هو مرتبط بالدعوة.

نعم اقرأ.

- **الآيات بالباب والتعليق عليها:**

القارئ:

قال الله سبحانه وتعالى: {وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ}[161].

وقال سبحانه: {فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ}[162].

وقال سبحانه: {قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ}[163]، وقال سبحانه: {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ}[164].

وقال سبحانه: {قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ}[165].

تعليق الشيخ: نعم، هذه الآيات آيات واضحة الدلالة كذلك، ومباشِرة الارتباط بعنوان الباب الذي هو في أهمية اتّباع هدي الأنبياء، وهذه الآيات فيها أن الله سبحانه وتعالى كان يثبت نبيه ﷺ بتذكيره بما حصل للأنبياء قبله، ونحن تبعٌ للنبي ﷺ.

فما ثبَّت الله به فؤاد نبيه، تُثَبَّت به أفئدة المؤمنين من أتباع النبي ﷺ ، فهذه القضية في غاية الأهمية.

الأمر الثاني هو أن الآية الثالثة المذكورة فيها تأسيسٌ لقضية مركزية اتّباع النبي ﷺ وأن هذا الاتّباع فيه قضية كبرى وهي الدعوة إلى الله، فبيَّن النبي ﷺ سبيله في هذه الآية.

---

[161] [هود: 120].
[162] [الأحقاف: 35].
[163] [يوسف: 108].
[164] [الأنعام: 90].
[165] [الأنعام: 161].

الله سبحانه وتعالى بيَّن سبيل نبيه وجعله مرتبطًا بقضية الدعوة إليه فقال: {قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ} ماذا؟ {أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ}. هذه الآية آية مركزية في الباب، آية مهمة جدًا، أن يؤسس منهج المصلحين على اتباع النبي ﷺ في قضية الدعوة إلى الله.

إلى غير ذلك من الآيات: {فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ} والمقصود بهذه الآية الأنبياء كما هو معلوم.

نعم.

- **الأحاديث بالباب والتعليق عليها:**

القارئ:

70. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى النبيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأنْبِياءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فأدْمَوْهُ، فَهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجْهِهِ، ويقولُ: "اللهم اغْفِرْ لِقَوْمِي فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ"[166] أخرجه البخاري ومسلم.
71. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "قَسَمَ النبيُّ ﷺ قَسْمًا، فَقالَ رَجُلٌ: إنَّ هذِه لَقِسْمَةٌ ما أُرِيدَ بهَا وجْهُ اللَّهِ، فأخْبَرْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَغَضِبَ، حتَّى رَأَيْتُ الغَضَبَ في وجْهِهِ، وقالَ: "يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لقَدْ أُوذِيَ بأَكْثَرَ مِن هذا فَصَبَرَ"[167] أخرجه البخاري ومسلم.
72. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "قالَ لي رَسولُ اللَّهِ ﷺ: "أَحَبُّ الصِّيَامِ إلى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كانَ يَصُومُ يَوْمًا ويُفْطِرُ يَوْمًا، وأَحَبُّ الصَّلَاةِ إلى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، كانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ويقومُ ثُلُثَهُ، ويَنَامُ سُدُسَهُ"[168] أخرجه البخاري ومسلم.

تعليق الشيخ: نعم، هذه الأحاديث ثلاثة أحاديث، فيها أن النبي ﷺ كان يستحضر في دعوته وفي حياته هدي الأنبياء ويتصبَّر بتذكُّر ما حصل لهم، يعني الله سبحانه وتعالى أوصاه

---

[166] [أخرجه البخاري: 3477، ومسلم 1792].

[167] [صحيح البخاري: 6336].

[168] [أخرجه البخاري: 1131، ومسلم: 1159 باختلاف يسير].

في تلك الآيات أن يصبر كما صبروا، صح؟ جاءت المواقف العملية فاستحضر النبي ﷺ ما حصل للأنبياء بما يشابه الموقف الذي حصل له.

فلما أوذي في القسمة تذكر أذية قوم موسى لموسى فقال: "يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِن هذا فَصَبَرَ"، إذن محمد ﷺ صبر كما صبر موسى الذي هو أحد أولو العزم من الرسل.

{فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ} هذي التوصية والآية، يأتي الموقف فيستحضر النبي ﷺ ذلك فصبر فيصبر كما صبر.

وفي الموقف الآخر يُصاب النبي ﷺ في أُحُد فيسيل الدم على وجهه، في ذلك الموقف يتذكُّر النبي ﷺ نبيًّا من الأنبياء لم يُسمَّى هنا، نبي من الأنبياء أصابه مثل ما أصاب النبي ﷺ، أُصيب في وجهه فسال الدم على وجهه، فالنبي ﷺ يعمل نفس الحركة التي عملها ذاك النبي.

قال ابن مسعود: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى النبيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأنْبِياءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فأدْمَوْهُ، فَهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجْهِهِ"، مثل ما مسح النبي ذاك الدم عن وجهه، النبي ﷺ يفعل.

ويقولُ: "اللهم اغْفِرْ لِقَوْمِي فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ".

ثم بعد ذلك، هذه في الدعوة وفي الصبر، ثم يأتي الحديث في قضية العبادة واتباع هدي الأنبياء في العبادة، ومنه هدي داوود عليه السلام الذي أرشد النبي ﷺ إليه، إذن هذا الباب هو الباب المؤسس أو من أهم الأبواب المؤسسة لقضية معالم طريق الإصلاح.

من أين تستمد معالم الطريق؟

من هَدْي الأنبياء.

وهدي الأنبياء ليس كما يظن البعض أن المعالم الإصلاحية التي فيه معالم مُجْمَلة أو معالم قليلة، هي معالم مفصلة وكثيرة، يعني مثلًا في كتاب أنوار الأنبياء يمكن ذكرت ما لا يقل عن ستين إلى سبعين معلم إصلاحي من معالم قصتَيْ –فقط– إبراهيم وموسى عليهما السلام، فقط.

ومن يتتبع أكثر من ذلك وفي بقية الأنبياء ستجد أنواع المعالم الإصلاحية التي يمكن أن تُستَنبط من هدي الأنبياء، وفيها مشابهة للواقع وفيها وفيها.

فالحرمان من قضية تتبع هدي الأنبياء خاصة في الإصلاح هو حرمان من باب عظيم من أبواب العلم.

نعم، الباب التالي.

بابٌ في فضل الإصلاح والدعوة إلى الله، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

القارئ: الباب الرابع عشر: باب فضل الإصلاح والدعوة إلى الله تعالى، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تعليق الشيخ: طيب، هذا الباب الآن، باب فضل الإصلاح والدعوة إلى الله وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا الباب يعني ألصق شي، يعني هو ماشي بالترتيب حتى لو كان قبل هدي الأنبياء ربما يكون أنسب مع باب المسؤولية العامة تجاه الإسلام والمسلمين، تُذكر المسؤولية ثم يُذكر فضلها.

فهذا الحديث في بيان الفضل وفي بيان الأهمية، وهي عمومًا مترابطة، يعني حين نقول المسؤولية العامة تجاه الإسلام والمسلمين هذا من ناحية المسؤولية لكن هل هناك فضل؟

لأن الذي يحرِّك الإنسان إلى العمل:

إما الشعور بالمسؤولية، طبعًا الشعور بالمسؤولية اللي هو مُعبَّر عنه في الباب بإيش؟ احنا قلنا تَحمُّل المسؤولية.

وإما أن يتحرك بسبب الرغبة أو الرهبة، الرغبة التي يحركها الفضل، معرفة فضل الباب، والرهبة معرفة ما في الباب من التحذير ويعني خلنا نقول النهي وما إلى ذلك.

الآن نفس الشي: باب الإصلاح، باب الدعوة إلى الله، نريد أن نعرف فضله، معرفة فضلها ما ثمرتها؟

مُحرِّكة، مُحرِّكة للعمل، مُحرِّكة للدعوة، مُحرِّكة للإصلاح.

أن تعمل وأنت تدرك الفضل الذي في هذا العمل، وهذا من جملة المثبتات ومن جملة المعينات على الثبات على الطريق، لأن الذي يسير وعينه على الفضل وعينه على الأجر يهون عليه ما يعترضه، لأن عينه أبعد.

الاعتراضات دائمًا والعقبات هي تعتبر أمور جزئية، أمور محدودة، أمور مرتبطة بمرحلة معينة، أمور مرتبطة بالحياة الدنيا، خليها كلها بالحياة الدنيا، العين حين تطمح وتنظر إلى ما هو أبعد الذي هو الفضل والأجر الأُخروي فدائمًا النظر للأبعد يهوّن العقبات الأقرب.

والعقبات الأقرب مهما كانت، حتى لو كانت بعد أربعين سنة خمسين سنة فهي في الحياة الدنيا، ولذلك لما لمح السحرة الذين آمنوا، لما لمحوا فجر الأجر هذا قالوا: {فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} نحن مستحضرون أن هذا القضاء الذي تقضيه يا فرعون -وإن كان مؤلما- إلا أنه تحت عنوان الحياة الدنيا، ايش تبى تعمل اعمل. {إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}.

وعينهم على ما بعد ذلك.

إذن حين نتكلم عن فضل الإصلاح، هذا سببٌ من أسباب الثبات؛ لأن الطريق يكتسب شرفه بذاته بغض النظر عن الأمور المتعلقة به.

نعم.

- **الآيات بالباب والتعليق عليها:**

القارئ:

قال الله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[169]، وقال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}[170].

وقال سبحانه: {وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}[171]، وقال تعالى: {وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}[172]، وقال سبحانه: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}[173].

---

[169] [فصلت: 33].

[170] [السجدة: 24].

[171] [الفرقان: 74].

وقال سبحانه: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[174]، وقال سبحانه: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}[175].

وقال جل وعلا: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ}[176].

تعليق الشيخ: لو لم يكن في الباب إلا هذه الآيات لكفت فضلًا وسببًا للإنسان لأن يدرك أهمية الدعوة إلى الله وأهمية الإصلاح، فمن جهة مسؤولية تم إثباتها بالأدلة السابقة، ومن جهة فضل عظيم ومكانة كبيرة، بل الآية الأولى {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ}، وهذه الآية وحدها كافية.

أنا برأيي أن أعظم آيتين في الباب عمومًا يعني حتى سواءً فيما ورد وما ورد، وردت في الآية التي قبلها، آية هنا وآية في الباب الذي قبله:

الآية الأولى، آية {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا}

والآية الثانية {قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى}

هاتان آيتان كافيتان كفايةً تامة في بيان شرف وفضل ومنزلة ومكانة وأهمية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ}، لا أحد أحسن قولًا ممن دعا إلى الله.

ثم الآيات الكثيرة وفيها خيرية هذه الأمة، وأن أول صفة ذكرت تابعة لخيرية هذه الأمة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

172 [آل عمران: 79].
173 [آل عمران: 110].
174 [لقمان: 17].
175 [الأعراف: 165].
176 [هود: 116].

ومن الفضائل التي ذكرت أن النهي عن السوء سبب للنجاة {أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} فمن فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو النجاة من العذاب.

وكذلك الآية التي علَّقت عليها في الباب الذي قبله: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ} إلى آخر الآية.

- **الأحاديث بالباب والتعليق عليها:**

نعم، اقرأ الأحاديث.

القارئ:

73. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "مَن دَعا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَن دَعا إلى ضَلالَةٍ، كانَ عليه مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن آثامِهِمْ شيئًا"[177] أخرجه مسلم.

74. عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ له مِثْلُ أَجْرِ مَن عَمِلَ بهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِن أُجُورِهِمْ شيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عليه مِثْلُ وِزْرِ مَن عَمِلَ بهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِن أَوْزَارِهِمْ شيءٌ"[178] أخرجه مسلم.

75. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَمَاءِ، حتَّى إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا"[179] أخرجه البخاري ومسلم.

76. عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: "لَأُعْطِيَنَّ هذِه الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ علَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَه، ويُحِبُّهُ اللَّهُ ورَسولُهُ"، قالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ

---

[177] [أخرجه مسلم: 2674].

[178] [صحيح مسلم: 1017].

[179] [أخرجه البخاري: 110، ومسلم: 2673 باختلاف يسير].

لَيْلَتَهُمْ: أيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا علَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أنْ يُعْطَاهَا، فَقالَ: "أيْنَ عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ؟" فقِيلَ: هو -يا رَسولَ اللَّهِ- يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قالَ: فأرْسَلُوا إلَيْهِ. فَأُتِيَ به فَبَصَقَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ في عَيْنَيْهِ ودَعَا له، فَبَرَأَ حتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ به وجَعٌ، فأعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقالَ عَلِيٌّ: يا رَسولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُهُمْ حتَّى يَكونُوا مِثْلَنَا؟ فَقالَ: "انْفُذْ علَى رِسْلِكَ حتَّى تَنْزِلَ بسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسْلَامِ، وأَخْبِرْهُمْ بما يَجِبُ عليهم مِن حَقِّ اللَّهِ فِيهِ؛ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ"[180] أخرجه البخاري ومسلم.

تعليق الشيخ: نعم، هذه الأحاديث فيها بيان فضل عظيم من فضائل أو من فضل الدعوة غير الفضل المذكور في الآيات، هذا فضلٌ زائد على الفضائل المذكورة في الآيات.

وخلاصته أن أجر الدعوة وأجر الداعي إلى الله لا يقتصر على العمل في ذاته، وإنما يمتد أثر هذا العمل ويتضاعف الأجر بقدر المستجيبين، يعني الآن عندنا نوعان من الفضل في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى:

نوع لا علاقة له بالمستجيبين، استجابوا أم لم يستجيبوا، حصل فائدة يعني استجابة اتباع أو لم يحصل.

ونوع آخر من الفضل مرتبط بمقدار الاستجابة والاتباع.

فالباب الأول من الفضل ميزته أنه يجعل الداعية ثابتًا على الدعوة ولو لم تحصل استجابة؛ لأن شرف الدعوة في ذاتها وفضلها في ذاتها.

طيب ماذا لو حصلت استجابة؟ هنا الفضل يزداد ويتضاعف ولذلك من جملة فضائل النبي ﷺ كثرة أتباعه والمستجيبين له، وتعرفون النبي ﷺ في الحديث الذي تُعرَض فيه الأمم، النبي ﷺ مما يحبه ويفرح به أن تكون هذه الأمة كثيرة.

فمن فضل النبي ﷺ كثرة أتباعه المستجيبين له، الآن هذا الفضل العظيم أنه بقدر من استجاب إلى الهُدَى الذي تدعو له فإن هذا يمتد إلى صحائفك وحسناتك.

---

180 [أخرجه البخاري: 4210، ومسلم: 2406 باختلاف يسير].

و "مَن سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ له مِثْلُ أَجْرِ مَن عَمِلَ بِهَا بَعْدَه" في حياته أم بعد مماته؟

سواءٌ في حياته أو بعد مماته، مفتوح.

طيب ماذا لو كان الذين عملوا بهذه السنة عشرات الآلاف؟ الله أكبر والله أكثر فضلًا وعطاءً وإحسانًا، مهما كثر المستفيدون أو المتبعون أو المستَنُّون فالله سبحانه وتعالى يكتب الأجر، حتى لو كثرت كما في رواية من روايات حديث الدعاة: "قالوا: إذنْ نُكثِرُ؟ قال: اللهُ أكثرُ"[181].

وهذا أجر عظيم وفضل كبير وثواب، ويجعل الداعية يحرص على استجابة الناس، يحرص على الثمرة، مع التأكيد على أن الثمرة ليست شرطًا للقيام بالدعوة.

بمعنى: لو غلب على ظن الداعية أن ما سيبذله في هذا النشاط الدعوي أو البرنامج الدعوي أو المقام الدعوي غالبًا لن يحصل له ثمرة من حيث الاستجابة، يقيم أو لا يقيم؟ يقيم؛ لشرف الدعوة في ذاتها وأحيانًا لتبرئة ذمته. وهذا له أصل في القرآن، في سورة الأعراف {إِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ} معذرة إلى ربكم، تمام؟ {وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} في رجاء.

طيب، لكن هذا كوني أنا لا أُعلِّق ليس معناه ألَّا أحرص على الثمرة، لا، أحرص على الثمرة، أحرص أن تحصل الاستجابة؛ ولذلك هنا يأتي ايش؟ التلطف في الأسلوب، الحرص على الإقناع، الابتعاد عن ما ينفر، واضح الفكرة؟

ولا يقال: لا، أهم شي تقول الحق ولا عليك، من استجاب استجاب، لا عليا، عليا من جهة الحرص من جهة الرغبة في أنه كل ما ازداد عدد المنتفعين المستجيبين ازداد الأجر، بدليل "مَن دَعا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ"، " مَن سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُها وأَجْرِ مَن عَمِلَ بِهَا"

فهذا بابٌ عظيم وفضلٌ كبير، لا ينبغي أن يُغفَل.

[181] [أخرجه أحمد: 11133].

وفيه أيضًا حديث سهل، وفيه "فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ".

الدعوة إلى الله تجارة رابحة، رابحة وقد يصل، يفتح الله على الإنسان حتى إنه لينام على فراشه وأجوره تجري عليه، وتُكتَب له في صحائف عمله، وإذا مات يجري عليه عمله، ويجري عليه الخير وتجري عليه البركات، تجري عليه الحسنات، في أوقاتٍ...

يعني تخيل أنت الآن، الإنسان يدخل في قبره، هناك الكل يبحث عن شيء والكل يعلم أنه لن ينفعه شيء، إلا -وتأتي الاستثناءات اليسيرة- من جملة الاستثناءات اليسيرة هنا اللي هي الأجور التي تحصل بسبب ترك ما يُنتفَع به من العلم الذي يحبه الله ورسوله.

طيب ننتقل للباب التالي.

بابٌ في صفات المصلحين وما ينبغي أن يكون عليه العاملون للإسلام.

القارئ: الباب الخامس عشر: باب في صفات المصلحين وما ينبغي أن يكون عليه العاملون للإسلام

تعليق الشيخ: نعم، الآن بعد ذِكر الفضل للإصلاح وللدعوة يأتي ذِكر صفات الداعية، صفات المصلح، هناك صفات هناك أمور يجب الالتزام بها.

نعم.

- **الآيات بالباب والتعليق عليها:**

القارئ:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ}[182].

وقال سبحانه: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ}[183].

وقال سبحانه: {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}[184].

وقال سبحانه على لسان يوسف: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}[185].

وقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ}[186].

[182] [المائدة: 54].
[183] [الفتح: 29].
[184] [القصص: 26].
[185] [يوسف: 55].
[186] [البقرة: 247].

وقال سبحانه: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}[187].

وقال سبحانه: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}[188].

وقال سبحانه: {وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}[189].

وقال سبحانه: {مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}[190].

وقال سبحانه: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ}[191].

وقال سبحانه: {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}[192].

تعليق الشيخ:

هذا الباب ذُكرت فيه آيات كثيرة، وهذه الكثرة تدل على أن هذا الموضوع موضوعٌ قرآنيٌّ محكم، الكثرة وطبيعة الآيات يعني.

وهذه الآيات هي نُبذة مما في القرآن الكريم من آيات أخرى، ليست هي كل شيء، وهي تؤكد أن هناك أبوابًا في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ قد لا يعتني بها كثير من المعتنين بأبواب معينة، مثل أبواب الأحكام وما إلى ذلك.

بينما هي أبواب شريفة، وأبواب عزيزة وأبواب يُحتاج إليها في العمل ويُتحاج إليها في الواقع بشكل كبير، فمن جملة تقدير القرآن والسُنَّة وتعظيمهما أن نبحث في مجموع أبوابهما وألَّا نقتصر على موضوعات محددة معينة.

---

[187] [آل عمران: 146].

[188] [السجدة: 24].

[189] [آل عمران: 79].

[190] [الأحزاب: 23].

[191] [الأحقاف: 53].

[192] [البقرة: 249].

وكلما كان الباب أشرف، كانت العناية أهم، وقضية (كلما كان الباب أشرف) سبق إثبات تفاوت ايش؟ ايوه سبق إثبات تفاوت الآيات القرآنية من حيث:

أول شي، رتبة نفس الآيات، هناك أعظم آية، أعظم سورة.

ومن حيث ما تحويه من أخبار أو أوامر أو نواهي.

فمن جملة الموضوعات العظيمة في القرآن: موضوع الإصلاح، موضوع الدعوة إلى الله، موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، موضوع كبيير.

وأصلًا جملة قصص الأنبياء المتكررة في القرآن تدور حول هذا المعنى.

ومن جملة الموضوعات المتفرعة من قضية الإصلاح والدعوة صفات المصلحين، صفات المصلحين مذكورة في الوحي، مذكورة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ. هذه الآيات فيها عدد، يعني الآن لو تتبعنا بالعدد الآيات والأحاديث صفات المصلحين التي نخرج بها ربما نخرج ببضع عشرة صفة.

فعندنا مثلًا في الآية الأولى: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}

أنا لا أريد أن أقف الآن واحدة واحدة، سنطيل جدًا، لكن يحبهم ويحبونه هذه فيها قضية ايش؟ قضية المحبة، عمل قلبي {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} والمحبة من أعمال القلوب الأساسية المهمة جدًا.

{أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} هذه صفة، {أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} صفة، {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ}

ثم بعد ذلك في آية الفتح {وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}، ثم {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} القوة والأمانة، وهذه الآية عامة، وإن كانت جاءت في سياق موسى عليه السلام، لكن تقف على كلام بعض المفسرين يقول لك: هذه الآية أصل في الولايات.

وكذلك {إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}، {فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا}

الجمع بين الصبر واليقين {لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}، {كُونُوا رَبَّانِيِّينَ} من صفات المصلحين الربانية، والربانية هنا هي معنى مرتبط بقضية الإصلاح؛ لأن الربانية هنا فيها معنى التربية وسياسة الناس وما إلى ذلك.

قضية الصدق {صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}.

إلى أخره من الصفات التي تُستَّنبط هنا، يعني في كتاب بوصلة المصلح جمعتها أيضًا في بضع عشرة صفة، تحديدًا في سبع عشرة صفة مرتبَّة كل صفة معها أدلتها ومعها بيان أهميتها ومعها بيان كيفية تحقيقها.

في الباب الرابع من أبواب بوصلة المصلح.

- **الأحاديث بالباب والتعليق عليها:**

نأتي الآن للأحاديث التي فيها الإشارة إلى شيء من الصفات الإصلاحية، يعني مثلًا يولي النبي ﷺ رجلًا ثم يُبرز صفة من صفاته، تدل على أن هذه الصفة معتبرة في قضية التولية بالمهام الإصلاحية والقيام بشأن الإسلام.

نعم.

القارئ:

77. عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: "جاءَ العاقِبُ والسَّيِّدُ صاحِبا نَجْرانَ إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ، يُرِيدانِ أنْ يُلاعِناهُ، قالَ: فقالَ أحَدُهُما لِصاحِبِهِ: لا تَفْعَلْ؛ فَواللَّهِ لَئِنْ كانَ نَبِيًّا فَلاعَنَّا، لا نُفْلِحُ نَحْنُ ولا عَقِبُنا مِن بَعْدِنا، قالا: إنَّا نُعْطِيكَ ما سَأَلْتَنا، وابْعَثْ معنا رَجُلًا أمِينًا، ولا تَبْعَثْ معنا إلَّا أمِينًا، فقالَ: "لَأَبْعَثَنَّ معكُمْ رَجُلًا أمِينًا حَقَّ أمِينٍ"، فاسْتَشْرَفَ له أصْحابُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالَ: قُمْ يا أبا عُبَيْدَةَ بنَ

الجَرَّاحِ، فَلَمَّا قامَ، قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: هذا أمِينُ هذِه الأُمَّةِ"[193] أخرجه البخاري ومسلم.

78. عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي قائِمَةً بأَمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ، أوْ خالَفَهُمْ، حتَّى يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ وهُمْ ظاهِرُونَ علَى النَّاسِ"[194] أخرجه البخاري ومسلم.

79. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ"[195] أخرجه مسلم.

80. عن أسامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يُجَاءُ بالرَّجُلِ يومَ القِيَامَةِ فيُلْقَى في النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أقْتَابُهُ في النَّارِ، فَيَدُورُ كما يَدُورُ الحِمَارُ برَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أهْلُ النَّارِ عليه فيَقولونَ: أيْ فُلَانُ، ما شَأْنُكَ؟ أليسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بالمَعروفِ وتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟! قالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بالمَعروفِ ولَا آتِيهِ، وأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وآتِيهِ"[196] أخرجه البخاري ومسلم.

81. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ما بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إلَّا رَعَى الغَنَمَ، فقالَ أصْحابُهُ: وأَنْتَ؟ فقالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أرْعاها علَى قَرارِيطَ لأهْلِ مَكَّةَ" أخرجه البخاري.

تعليق الشيخ: نعم، هذه الأحاديث فيها بيان شيء من الصفات الإصلاحية، بعضها مؤكِّدٌ لما ورد في الآيات، وبعضها فيه قدر من الزيادة.

فمن الأحاديث التي فيها قدر من الزيادة الحديث الأخير "ما بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إلَّا رَعَى الغَنَمَ"، الأنبياء سادات المصلحين، اشترك الأنبياء في أن قدَّر الله عليهم أن رعوا الغنم، لماذا؟

ذكرت أنا في الحاشية هنا في نفس الكتاب:

---

193 [أخرجه البخاري: 4380، ومسلم: 2420].

194 [صحيح مسلم: 4955].

195 [صحيح مسلم: 2664].

196 [أخرجه البخاري: 3267، ومسلم: 2989].

قال ابن حجر رحمه الله: (قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصُل لهم التمرُّن برعيها على ما يُكلَّفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم به الحلم والشفقة؛ لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوِّها من سبع وغيره كالسارق.

وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها، واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها، ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها؛ فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة، لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم).

أمر عظيم يا جماعة، معنى عظيم ترا، معنى عظيم جدًا من جهة حكمة الله وقدره، يعني الله سبحانه وتعالى يهيِّئ الأنبياء، لا يبعثهم فجأة، يهيِّؤهم هذه التهيئة يحصل فيها أمور منها قضية ال-مع إنه أمر قد يبدو في الذهن بسيط- رعي الغنم، ايش يعني رعي الغنم؟ لا رعي الغنم فيه تدريب للنفس وتمرين لها على معاني يُحتاج إليها في سياسة الناس.

تُعلِّم على الرحمة والشفقة عمليًا كيف تنتبه لهذه، خاصةً أنها ضعيفة كما قال ابن حجر في تتمة الكلام، قال: (وخُصَّت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ربط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقيادًا من غيرها).

فهذا معنًى عظيم من المعاني.

ما المستفاد في المعنى من جهة صفات المصلحين؟

أهمية الصبر من جهة، بس قبل ذلك أهمية أن يكون هناك تدرُّب وتجربة، أو الدربة والتجربة للمصلحين في عملهم الإصلاحي.

وهناك بعض الأحاديث الأخرى منها قضية موافقة العلم بالعمل في حديث أسامة بن زيد وغيرها من الأحاديث التي فيها تأكيد على بعض المعاني التي في الآيات.

طيب، تستمر الأبواب المتعلقة بالإصلاح، لكن هنا من جهة معنًى من المعاني التي ينبغي على المصلحين أن يستحضروها وأن يُبنَوا على الوعي بها، وهي المتعلقة بسبيل المجرمين.

وكما أسلفت مرارًا في هذا المجلس، أن متن المنهاج من ميراث النبوة متنٌ جُمِعَ وعينٌ فيه على الوحي وعينٌ فيه على الواقع، والمراد والمستهدف بهذا الجمع هو الشاب المسترشد المستهدي الذي يتطلب أمرين:

الأمر الأول: الاستقامة في نفسه والثبات باستحضار الفتن الموجودة في الواقع.

الأمر الثاني: النفع المتعدي، الإصلاح، الدعوة، باستحضار المشكلات الموجودة في الواقع ايش؟ في واقع الأمة.

إذن هذا الباب في أهمية الوعي بسبيل المجرمين.

نعم، اقرأ.

بابٌ في أهمية الوعي بسبيل المجرمين.

القارئ: الباب السادس عشر: بابٌ في أهمية الوعي بسبيل المجرمين والحذر من أعداء الإسلام وكيدهم والتنبه من مكر المنافقين.

قال الله سبحانه وتعالى: {وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}.

تعليق الشيخ: نعم، أول شي في الباب التأكيد على هذا المعنى، وهو معنًى قرآني ومعنى نبوي، معنًى مستمد من مرجعية الوحي، معنى ليس من الترف الفكري كما قد يظنه بعض طلاب العلم.

إنه العناية بالواقع، فهم الواقع، يعني أحيانًا ترتبط هذه الألفاظ بفئة ربما بعيدة عن العلم الشرعي أو شي، يعني الله يجزيهم الخير، في ناس يهتموا بالواقع، في ناس يهتموا بالعلم الشرعي.

لا هذا إثبات من الوحي من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ أن معرفة سبيل المجرمين الذين يعيشون في واقع الإنسان، سبيل المجرمين من المنافقين، من الكفار، من أعداء الدين من أيٍ كان، أنه أمر قرآني، أمر أساسي، أمر مهم، أمرٌ رُبِّيَ عليه المؤمنون، رُبِّيَ عليه الصحابة.

الله يحب هذا الوعي، وهو معنى من المعاني المحكَمة الأساسية، فلذلك المصلحون يجب أن يُرَبَّوْا على مثل هذا المعنى.

نعم.

- **الآيات بالباب والتعليق عليها:**

القارئ:

قال الله سبحانه وتعالى: {وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}[197].

---

[197] [الأنعام: 55].

وقال سبحانه: {وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا}[198].

وقال سبحانه: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[199].

وقال سبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ}[200].

وقال سبحانه: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[201].

تعليق الشيخ: نعم، هذه الآيات فيها بيان أكثر من أمر:

الأمر الأول: أهمية استبانة سبيل المجرمين، وأن الله سبحانه وتعالى يفصل الآيات ومن الحكم في ذلك أن تستبين سبيلُ المجرمين للمؤمنين، فهذا مقصدٌ قرآني من تفصيل الآيات، وإرادةٌ إلهية في أن يكون المؤمنون على وعي وعلمٍ بسبيل المجرمين.

ولذلك كثُر في القرآن الحديث عن المجرمين، بأصنافهم، ابتداءً من الشياطين، طبعًا الأصناف المذكورة في القرآن: المشركين، أهل الكتاب، ذُكِر المنافقون.

وحقيقة الإنسان لكثرة الآيات المذكورة في هذا الباب ولأهميته، حاولت أبدأ بسلسلة خاصة فقط بهذا الباب أن يتتبع الإنسان الآيات القرآنية الواردة فقط في هذا الباب لبيان التعليق

[198] [النساء: 102].
[199] [التوبة: 107].
[200] [البقرة: 204].
[201] [التوبة: 95].

عليها وبيان متعلقاتها وما إلى ذلك، عنونتها بـ"بيان القرآن لسبيل المجرمين"، لم تكتمل لكن إن شاء الله تكتمل.

والآيات في ذلك كثيرة جدًا، ومن جملة ما يدخل في هذا الباب من آيات، الآيات الآمرة بأخذ الحيطة والحذر، كرر الله في آية واحدة في سورة النساء قضية الحذر {وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ} وبعدين {وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ} وبعدين {وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ} وبعدين {وَخُذُوا حِذْرَكُمْ}

يعني تأسيس ثم تأسيس ثم تذكير في أن المؤمن يجب ألَّا يغفل، لا يصلح، وإذا كان هذا في زمن النبي ﷺ الذي أصلًا النبي ﷺ يسير فيه على مبدأ الحذر هذا والتنبه واليقظة تجاه أعداء الله وتجاه أعداء رسوله ﷺ.

إذا كان كل هذا التحذير وهو في ذلك الزمن، فزماننا أولى بالعناية في هذا الملف نظرًا لعدة أمور، منها:

تطور أساليب الجرمين في الإجرام، حتى صارت يعني تَفُوق، يعني ربما الإنسان يقول هل وصل زمنٌ من الأزمان أن تطورت فيه أساليب المجرمين في التلبيس والخداع وفي محاربة الحق بمثل ما وصل إليه في زماننا.

ثم بعد ذلك مما يزيد الأمر –وهذه أوضح، الثانية، بالنسبة لِي– مقارنةً بالأزمان الأخرى قضية الغفلة العجيبة تجاه أساليب المجرمين وسبيلهم، في زماننا غفلة لا يكاد يوجد لها نظير في التاريخ.

يعني في قضية كيد المشركين تشك، تقول لا والله كيد فرعون وكيد كذا و{وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ}، {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} وكذا.

فكيد المجرمين، خاصةً وأن المحرك واحد اللي هو القلوب تشابهت قلوبهم، تختلف الأساليب، صح زماننا في أدوات أكثر وكذا، لكن تشابهت قلوبهم.

لكن الذي لا تكاد تشك فيه هو أن الغفلة تجاه سبيل المجرمين في أوساط المنتسبين إلى العلوم الإسلامية وما إلى ذلك، لا تكاد تشك أنه لم يمر في تاريخ المسلمين مثل هذه الغفلة الموجودة في زماننا.

شيء عجيب، على قدر الكيد وعلى قدر المكر وعلى قدر الفجاجة في محاربة الدين، على قدر الغفلة وعلى قدر السذاجة أحيانًا والسطحية البالغة في اليقظة والمعرفة بالمجرمين و بأدواتهم وبوسائلهم.

وهذا أمرٌ يؤسِف كثيرًا، ولذلك تدعو الحاجة وتمس إلى التأكيد على هذا المعنى والاستدلال عليه من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، هذه آيات في بيان هذا المعنى وفي التحذير، عدم الاغترار بمن يخالف عملُهم قولَهم (الصالح) بين قوسين.

يعني عمل قد يُفهَم منه هكذا لكن إذا كان، عفوًا قول، اللي هو {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} يؤكد هذا إنه {يُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ} لكن هو في الحقيقة {أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ}

والنموذج هذا تراه في زماننا، لكن تراه في زماننا في قضية {إِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ} ها؟ ولكن ترى الشق الأول الذي هو {يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ} ترى ضعييف، وما يحتاج يُشهد الله على ما في قلبه، يرمي كلمتين وخلاص، ومع ذلك يُغتَر به، فما بالكم بـ..

يعني هذه قضية في غاية الخطورة حقيقة، ويعني إذا نشأ الصالحون في مثل هذه الغفلة فلا يُرجى منهم أن يكونوا هم الذين يصلِحون في الواقع ويُعلُون كلمة الدين.

تأتي الآن الأحاديث النبوية لتبيّن شيئًا مما يؤكد هذا المعنى في اليقظة والحذر والبصيرة والتنبه والمعرفة بسبيل المجرمين.

نعم.

- **الأحاديث بالباب والتعليق عليها:**

القارئ:

82. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يُلْدَغُ المؤْمِنُ مِن جُحْرٍ واحِدٍ مَرَّتَيْنِ"[202] أخرجه البخاري ومسلم.
83. عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: "لَمْ يَكُنْ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إلَّا وَرَّى بغَيْرِهَا"[203] أخرجه البخاري.
84. عن المسور بن مخرمة ومروان في قصة الحديبية: "فَقالَ رَجُلٌ مِن بَنِي كِنَانَةَ [لقريش]: دَعُونِي آتِيهِ، فَقالوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أشْرَفَ علَى النَّبِيِّ ﷺ وأَصْحَابِهِ، قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: "هذا فُلَانٌ، وهو مِن قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ، فَابْعَثُوهَا له" فَبُعِثَتْ له، واسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذلكَ قالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! ما يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إلى أصْحَابِهِ، قالَ: "رَأَيْتُ البُدْنَ قدْ قُلِّدَتْ وأُشْعِرَتْ، فَما أرَى أنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ"[204] أخرجه البخاري.
85. عن عائشة رضي الله عنها في قصة الهجرة: "وَاسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ ﷺ، وأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِن بَنِي الدِّيلِ، ثُمَّ مِن بَنِي عبدِ بنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا -الخِرِّيتُ: المَاهِرُ بالهِدَايَةِ- قدْ غَمَسَ يَمِينَ حِلْفٍ في آلِ العَاصِ بنِ وائِلٍ، وهو علَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فأمِنَاهُ، فَدَفَعَا إلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، ووَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فأتَاهُما برَاحِلَتَيْهِما صَبِيحَةَ لَيَالٍ ثَلَاثٍ، فَارْتَحَلَا وانْطَلَقَ معهُما عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ، والدَّلِيلُ الدِّيلِيُّ، فأخَذَ بهِمْ أسْفَلَ مَكَّةَ، وهو طَرِيقُ السَّاحِلِ"[205] أخرجه البخاري.

تعليق الشيخ: هذه الأحاديث، أولًا: "لا يُلْدَغُ المؤْمِنُ مِن جُحْرٍ واحِدٍ مَرَّتَيْنِ"، صفةٌ للمؤمن: اليقظة.

والخطَّابي ذكر أن هذه وإن كانت على سبيل الخبر إلا أنَّ فيها أمرًا بأن لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين.

[202] [صحيح البخاري: 6133].
[203] [صحيح البخاري: 2816].
[204] [صحيح البخاري: 2731].
[205] [أخرجه البخاري: 3905، 3906 مفرقاً باختلاف يسير].

وثم بعد ذلك تأتي التطبيقات النبوية: التورية، ما يذكر الغزوة، ما يذكر الوجهة الصريحة، ها؟ وكذلك حديث الـ قضية البدن، "هذا فُلَانٌ، وهو مِن قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ، فَابْعَثُوهَا له"، الوعي باختلاف الناس: هؤلاء يفضِّلون كذا، هؤلاء كذا، ومن ثَمَّ استعمال المداخل والأساليب التي تتناسب مع السمات والصفات المتعلقة بكل فئة من الناس على حِدى.

فهؤلاء وإن صدروا من مكة إلا أنهم أقوام، فهذا الذي أتى هو من قوم يعظِّمُون البُدن، فاستعمل النبي ﷺ معه أن بُعثت هذه البُدن ليراها فيكون سببًا في أن يعني تُلغى خطة قريش.

هذا كله من جملة أهمية أن يُقتدَى بالنبي ﷺ في مختلف الأبواب ومن جملتها هذا الباب.

والحديث الأخير في الهجرة، فيه أن النبي ﷺ استعمل الأمهر، الأكثر قدرة وإن كان كافرًا.

نعم.

باب العناية بالشباب وتقديم ذوي العلم منهم.

- **الآيات والأحاديث بالباب والتعليق عليها:**

القارئ: الباب السابع عشر: باب العناية بالشباب وتقديم ذوي العلم منهم، وتفعيل أدوارهم في العمل للإسلام.

قال الله تعالى: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}[206].

وقال تعالى: {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ}[207].

وقال تعالى: {فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ}[208].

86. عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كنَّا معَ النَّبيِّ ﷺ ونحنُ فتيانٌ حزاورةٌ فتعلَّمنا الإيمانَ قبلَ أن نتعلَّمَ القرآنَ ثمَّ تعلَّمنا القرآنَ فازددنا بِهِ إيمانًا"[209] أخرجه ابن ماجه.

87. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعالَى في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَدْلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ، اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فَقالَ: إنِّي أَخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فأخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"[210] أخرجه البخاري ومسلم.

88. عن سهل بن سعد رضي الله عنه: "أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ-.."

الشيخ: ما علقت على الباب صح؟ طيب أكمل الحديث وبعدين..

القارئ:

---

[206] [الكهف: 13].

[207] [الأنبياء: 60].

[208] [يونس: 83].

[209] [صحيح ابن ماجه: 52].

[210] [أخرجه البخاري: 1423، ومسلم: 1031].

"..فَشَرِبَ مِنْهُ، وعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقالَ لِلْغُلَامِ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ، فَقالَ الغُلَامُ: لا واللَّهِ يا رَسُولَ الله لا أُوثِرُ بنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قال: فَتَلَّهُ رَسولُ الله ﷺ في يَدِهِ"[211]. أخرجه البخاري ومسلم.

تعليق الشيخ: هذا المتن –المنهاج من ميراث النبوة– من أوائل المستهدفين به الشباب، وكما أسلفت مرارًا هم مستهدفون به في جانبين:

جانب الاستقامة والثبات عليها في ظل الفتن المعاصرة.

وجانب التفعيل الإصلاحي في ظل واقع الأمة الحالي، وبناءً على ذلك ذُكِر هذا الباب باعتبار أن الشباب في زمن النبي ﷺ بل وحتى في الأزمنة التي قبله كانوا محلًّا لحمل الدين وللعمل به وللثبات عليه وللإصلاح.

ومن أعظم ما يُحتاج إليه في هذا الزمن أن يُعاد دور الشباب ويُعاد ويُركَّز أو يُزاد في التركيز في الاهتمام بهم وفي العناية بهم حتى يستمروا على هذا الدور الذي كان قبل زمن النبي ﷺ وفي زمنه بصورةٍ واضحةٍ عظيمةٍ مفصلة.

فأما فيما قبل النبي ﷺ فذكرت ثلاثة أو ثلاث آيات:

{إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}، وكانوا أنموذجًا عظيمًا، وهذا الأنموذج أنموذج كان في الأمم السابقة ولكن جعل النبي ﷺ حبلًا بين هذا الأنموذج وبين الفتن التي تقع أو أهم فتنة تقع في هذه الأمة اللي هي فتنة الدجال.

إنه تُقرَأ آيات من سورة الكهف، ها، وسورة الكهف هي سورة معبرة عن هؤلاء الفتية، وحتى اسم السورة هو معبر عن حال هؤلاء الفتية فهم أنموذج في مواجهة الفتن، وهم فتية.

وذكرت كلام ابن كثير في الأسفل قال: (ذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب، وهم أقبل للحق).

ثم إبراهيم عليه السلام وهو قبل ذلك {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ}

---

[211] [صحيح البخاري: 5620، ومسلم: 2030 باختلاف يسير].

وفي قصة موسى {فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ}، والذرية هنا على قول بعض المفسرين هم الشباب، والفتيان يعني ليسوا الكبار.

ثم تأتي الأحاديث، قُرِئَ منها ثلاثة أحاديث، أكمل.

طبعًا هذا الباب فيه أحاديث وآثار، يعني هو من أطول الأبواب في متن المنهاج، وحقيقةً هذا الباب بابٌ مهم والقصص النبوية المتعلقة بالشباب والعناية بهم كثيرة، وذُكِرَ في هذا الباب شيءٌ من هذه القصص.

نعم، عن عبد الله بن عمر.

القارئ:

89. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: "بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا، وأَمَّرَ عليهم أُسامَةَ بنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ في إمارَتِهِ، فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أنْ تَطْعُنُوا في إمارَتِهِ، فقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ في إمارَةِ أبِيهِ مِن قَبْلُ، وايْمُ اللَّهِ، إنْ كانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمارَةِ، وإنْ كانَ لَمِنْ أحَبِّ النَّاسِ إلَيَّ، وإنَّ هذا لَمِنْ أحَبِّ النَّاسِ إلَيَّ بَعْدَهُ"[212] أخرجه البخاري ومسلم.
وقد كان أسامة حينها شابًّا دون العشرين من عمره.

90. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "أَخْبِرُونِي بشَجَرَةٍ مَثَلُها مَثَلُ المسْلِمِ، تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها، ولا تَحُتُّ ورَقَها" فَوَقَعَ في نَفْسِي أنَّها النَّخْلَةُ، فَكَرِهْتُ أنْ أتَكَلَّمَ، وثَمَّ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ، فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّما، قالَ النبيُّ ﷺ: "هي النَّخْلَةُ"، فَلَمَّا خَرَجْتُ مع أبِي قُلتُ: يا أبَتاهُ، وقَعَ في نَفْسِي أنَّها النَّخْلَةُ، قالَ: ما مَنَعَكَ أنْ تَقُولَهَا، لو كُنْتَ قُلْتَها كانَ أحَبَّ إلَيَّ مِن كَذا وكَذا، قالَ: ما مَنَعَنِي إلَّا أنِّي لَمْ أرَكَ ولا أبا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُما فَكَرِهْتُ"[213] أخرجه البخاري واللفظ له، ومسلم.

91. عن مالك بن الحويرث رضي الله عنهما قال: "أتينا رسولَ اللَّهِ ﷺ ونحنُ شَبَبةٌ متقاربونَ، فأقَمنا عندَهُ عشرينَ ليلةً، وَكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ رَحيمًا رفيقًا، فظنَّ أنَّا قدِ اشتَقنا إلى أَهْلِنا، فسألَنا عمَّن ترَكْنا من أَهْلِنا؟ فأخبرناهُ فقالَ: ارجِعوا إلى أَهْليكم،

---

[212] [أخرجه البخاري: 3730، ومسلم: 2426].
[213] [صحيح البخاري: 5814، ومسلم: 2811].

فأقيموا عندَهُم وعلِّموهم، ومُروهُم إذا حَضرَتِ الصَّلاةُ، فليؤذِّن لَكُم أحدُكُم وليؤُمَّكُم أَكْبَرُكُم" أخرجه البخاري ومسلم.

92. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنتُ خلفَ النَّبيِّ ﷺ فقالَ: "يا غلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلماتٍ: احفظِ اللَّهَ يحفظكَ، احفظِ اللَّهَ تجدْهُ تجاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللَّهَ وإذا استعنتَ فاستعن باللَّهِ، واعلم أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لكَ، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوكَ بشيءٍ لم يضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعتِ الأقلامُ وجفَّت الصُّحفُ"[214] أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

93. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال : يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف"[215] أخرجه الترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح .

94. عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: "ضَمَّني النبيُّ ﷺ إلى صَدْرِهِ، وقالَ: اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ"[216] أخرجه البخاري.

95. عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "لما توفي رسول الله ﷺ، قلت لرجل من الأنصار يا فلان هلُمَّ فلنسأل أصحاب النبي ﷺ، فإنهم اليوم كثير" فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس، أترى الناس يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك، وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه، وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج، فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقولُ: لا،

---

[214] [صحيح الترمذي: 2516].

[215] [أخرجه الترمذي: 2516].

[216] [أخرجه البخاري: 3756].

أنا أحق أن آتيك. فأسأله عن الحديث. قال: فبقي الرجل حتى رآني، وقد اجتمع الناس علي، فقال: كان هذا الفتى أعقل مني"[217] أخرجه الدارمي.

96. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان عمر يُدْخِلُنِي مع أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فقال بعضهم: لِمَ تُدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال: إنه ممن قد عَلِمْتُمْ، قال: فدعاهم ذات يومٍ ودعاني مَعَهُمْ، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا لِيُرِيَهُم مني ، فقال: ما تقولون في {إذا جاءَ نَصرُ اللَّهِ وَالفتح} {وَرَأَيتَ النّاسَ يَدخُلونَ في دينِ اللَّهِ أَفواجًا..}[218] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أُمرنا أن نَحْمَدَ اللهَ ونَسْتَغْفِرهُ إذا نصرنا وفَتَحَ علينا، وقال بعضُهُم لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئًا، فقال لي: يا بن العباس أكذاك تقولُ؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أَجَلُ رسولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ الله له، {إذا جاءَ نَصرُ اللَّهِ} وَالفَتحُ فتح مكة فذاك علامةُ أجلِه، {فَسَبِّح بِحَمدِ رَبِّكَ وَاستَغفِرهُ إِنَّهُ كانَ تَوّابًا}[219]. قال عمر رضي الله عنه: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تعلم"[220]. أخرجه البخاري.

97. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كانَ القُرَّاءُ أصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ ومُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أوْ شُبَّانًا"[221] أخرجه البخاري.

98. عن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه أنه كانَ "يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ كما يُعَلِّمُ المعَلِّمُ الغِلْمَانَ الكِتَابَةَ ويقولُ: إنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ كانَ يَتَعَوَّذُ منهنَّ دُبُرَ الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الجُبْنِ، وأَعُوذُ بكَ أنْ أُرَدَّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وأَعُوذُ بكَ مِن عَذَابِ القَبْرِ"[222] أخرجه البخاري.

تعليق الشيخ: نعم هذه الأحاديث والآثار في بيان قيمة الشباب وأهميتهم وعدم استحقار أدوارهم، وهي على وجوه وعلى معاني وفيها إثباتات لهذه القضية باعتبارات متعددة، لكن الجامع المشترك الواضح في كثيرٍ منها هو: في أن النبي ﷺ كان يعتني بالشباب

---

[217] [أخرجه الدارمي: 590].

[218] [النصر: 1-2].

[219] [النصر: 3].

[220] [أخرجه البخاري: 4294].

[221] [أخرجه البخاري: 7286].

[222] [أخرجه البخاري: 2822].

عناية واضحة ظاهرة، وهذا مبيَّنٌ في هذا الباب من وجوه أو بأحاديث متعددة، أولها حديث جندب، وهذه ثالث مرة يُذكر فيها الحديث وفي ثالث موضع في الكتاب يُذكر، وهو الحديث الوحيد المكرر بهذه الطريقة "كنَّا معَ النَّبيِّ ﷺ ونحنُ فتيانٌ حزاورةٌ فتعلَّمنا الإيمانَ قبلَ أن نتعلَّمَ القرآنَ ثمَّ تعلَّمنا القرآنَ فازددنا بِهِ إيمانًا"، وهذا واضح العناية فيه بهؤلاء الفتيان الحزاورة يعني أعمارهم ثلاثة عشر أربعة عشر هذه العمر تقريبًا، فالنبي ﷺ كان يعلمهم الإيمان، ومن الأمثلة العملية على تعليم النبي ﷺ الإيمان لبعض الغلمان هو حديث ماذا؟ أي حديث في الباب؟

حديث ابن عباس؛ "إني أعلمك كلمات"، أرأيتم حديث "إني أعلمك كلمات"؟ هذا تطبيق عملي على قضية "فتعلمنا الإيمان" ما في حديث ابن عباس هو تطبيق عملي لقضية "فتعلمنا الإيمان" ما هو؟ "إني أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجاهك، إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت"...إلى آخر الحديث، طيب هذه وصية خاصة لغلامٍ من الغلمان.

ابن عباس حين توفي النبي ﷺ وهو ابن بضع عشرة سنة صغير وله شأن مع النبي ﷺ أسامة بن زيد كان شابًا أكبر من ابن عباس بقليل ولكنه كان شابًا صغيرًا دون العشرين كذلك، هذا فضلًا عن أن الصحابة الذين دخلوا في الإسلام في البداية كان كثيرٌ منهم صغارًا في السن، منهم وعلى رأسهم علي بن أبي طالب، أول من أسلم من الغلمان كان صغيرًا والزبير وطلحة وعبدالرحمن بن عوف هؤلاء كلهم كانوا صغارًا حين أسلموا صغار بل بعض العلماء -وهذا قول مذكور في سير أعلام النبلاء للذهبي- أنهم كانوا كلهم في سن علي رضي الله تعالى عنه حين أسلموا صغار فتيان، ويُذكر هكذا أنهم من أول من أسلموا ويُذكر لهم شأن و أنهم السابقون وأن "شباب صغار ترى"!

وحتى من الأنصار أنس بن مالك الذي له شأنٌ معروف مع النبي ﷺ حين دخل النبي ﷺ المدينة كان عمره عشر سنوات، والبراء بن عازب وزيد بن أرقم، حتى معاذ بن جبل الذي هو الفقيه الذي أرسله النبي ﷺ صحيح أنه أكبر من هؤلاء لكنه لم يكن كبيرًا يعني حين كان مع النبي ﷺ ترى كان في بداية العشرينات، في بداية الهجرة لا! حتى كان دون العشرين ثم بعد

ذلك إلى وقت وفاة النبي ﷺ كان ابن بضع وعشرين سنة، فكثير من أصحاب الرسول ﷺ كانوا كذلك.

ومن جملة عنايته ﷺ بهم أنهم كانوا يحضرون مجالسه التي فيها الكبار، وكان يعاملهم كما يعامل أولئك مثل هذا الحديث الذي فيه الإناء الذي أتى باللبن فلم يقدم الكبير عليه لأنه جالس في اليمين فلم يلغي دوره،

كذلك من الأحاديث اللي خلنا نقول فيها القصص الجميلة هي حديث ابن عباس الذي في آخر الباب قصة ابن عباس مع الأنصاري

في قضية طلب العلم والعناية ولنسأل أصحاب رسول الله ﷺ هو حديث يعتبر فيه أنموذجًا مهمًا لطلاب العلم من الشباب في الحرص والعناية، وكذلك في أن الشاب الصغير قد يُفتح عليه ما لا يُفتح على الكبير، وما يستحق أن يقدم بسببه على الكبير ومن أمثلته في هذا الباب حديث ابن عباس في مجلس عمر و معه أشياخ بدر، و فُتح على ابن عباس في تفسير الآيات ما لم يُفتح على أشياخِ بدر

وهذا فيه يعني بالنسبة لنا تحديد معايير أنه يعني نعم هناك حتى لو كان الموجب للتقديم موجب ديني؛ أشياخ بدر يعني عندهم موجب "ديني أهل بدر"، و موجب عرفي أو خلنا نقول من جهة كونهم ذوي سن ذوي أسنان كبيرة وهذا مظنة الحكمة والاستشارة ما إلى ذلك، وهم لا شك أنم جُدراء بتلك المنزلة والمكانة، لكن هذا لا يلغي أن يكون من المعايير "معيار تقدم العلم والفهم والفطنة ولو كان هذا الذي تقدم شابًا صغيرًا"؛ يعني ابن عباس في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان في بداية العشرينات في عمره كان في بداية العشرينات يعني حين توفي النبي ﷺ كان ابنه بضع عشرة سنة، ثم سنتين لأبي بكر ثم سنوات عمر بن الخطاب يعني ربما حين قتل عمر رضي الله تعالى ربما يكون عُمر بن عباس قرابة الثلاثين، حين قُتل عمر رضي الله تعالى عنه فهي يعني لم يكن كبيرًا في السن.

ثم بعد ذلك حديث سعد بن أبي وقَّاص وفيه العناية بالفتيان في التعليم، أنه كان رضي الله تعالى عنه يعلم بَنيه هؤلاء الكلمات كما يُعلم المعلم الغلمانَ الكتابة.

طيب نختم بالباب القادم في هذا المجلس، يعني من باب أنه مراعاة الأحوال يعني خاصة أحوال الحاضرين في البث.

بابُ دور المرأة في بث العلم ونصرة الإسلام وفي عنايتها بأبواب الخيرات ومسارعتها إلى العمل بها.

طيب الباب الثامن عشر باب دور المرأة في بث العلم ونصرة الإسلام وفي عنايتها بأبواب الخيرات ومسارعتها إلى العمل بها.

طيب هذا باب في قضية المرأة في سياق الكتاب، يعني لم أعتني في باب المرأة في هذا الكتاب لم أعتني بقضية إثبات مكانة المرأة و أنها مكرمة في الإسلام ليس هذا هو موضع العناية جيد؟ حتى الكتاب بالمناسبة هذا سياقه ليس السياق سياق العناية بمكانة المرأة و كذا و انه لا ترى ليست مظلومة.. ليس هذا هو محل العناية، محل العناية هنا فيما يتصل بسياق الكتاب، ما هو سياق الكتاب؟

سياق الإنسان المسلم الشاب المسترشد المستهدي الذي يتطلب الثبات على الدين والاستقامة عليه والعمل لأجله والإصلاح، وأن يحمل الرسالة، وأن يكون له دور.

هذا سياق الكتاب هذا سياق متن المنهاج من ميراث النبوة، فمن جملة من احتيج إلى التنبيه على كونه داخل في هذا السياق في الباب الذي قبل قليل هم -الشباب حتى لو كانوا فتيانًا لو كانوا صغارًا- ترى هم مقصودون بل هم من أوائل من هم مقصود.

ومن جملة من يحتاج إلى التنبيه في إبراز أنه مقصود كذلك "المرأة" فهي ليست مستثناةً من هذا، لكن بطبيعة الحال ما يقع من الأدوار التفصيلية على المرأة فيه اختلاف عن ما يقع من الأدوار التفصيلية على الرجل وإن كانا يشتركان في أساس تحمل المسؤولية المتعلقة بالدين والقيام بشأنه ونصرته، أساس القضية مشترك وأمَّا الصور التفصيلية فتختلف؛ فمن جملة ذلك مثلًا أن الجهاد لا يجب على المرأة، هذه من صور الاختلاف جيد؟ لكن أساس الاشتراك في قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الدعوة إلى الله حمل هم الدين، اعتبار المسؤولية هو أساس مشترك كما سيُبين من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وكما بُيّنت مكانة الشباب وأدوارهم في زمن النبي ﷺ في الباب السابق فسيُبين شيء مما يتعلق بالمرأة في هذا الباب.

- **الآيات بالباب والتعليق عليها:**

قال الله تعالى: {وَالمؤمنونَ وَالمؤمناتُ بَعضُهُم أَولياءُ بَعضٍ يَأمُرونَ بِالمعروفِ وَيَنهَونَ عَنِ المنكَرِ وَيُقيمونَ الصَّلاةَ وَيُؤتونَ الزَّكاةَ وَيُطيعونَ اللَّهَ وَرَسولَهُ أُولئِكَ سَيَرحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزيزٌ حَكيمٌ}[223].

وقال سبحانه: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ }[224].

شرح الآية الأولى:

نعم هاتان الآيتان؛ الآية الأولى في قضية الدعوة والإصلاح والأمر المعروف والنهي عن المنكر.

{والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضهمْ أولياءُ بعضٍ}

ومن هذه الكلمة {بعضهمْ أولياءُ بعضٍ} يؤخذ معنى النصر كذلك؛ لأن من أهم ما يدخل في معنى الولي: "المحب الناصر".

ويؤخذ بأصرح منه في الجملة التالية التي هي إيش؟ ما هي؟ في الجملة التالية في الآية؟

"المؤمنون و المؤمنات يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس خاصًا بالرجال، وإنما هو واجب مشترك بالإضافة إلى بقية الواجبات المذكورة في الآية.

والآية التالية هي في الثبات الذاتي، في الاستقامة –وإن وجدت الفتن– وهي أنموذج ليس خاصًا بالنساء وإن كان القائم به امرأة، لكنه ضرب مثل للذين آمنوا، غير أن من أولى من يقتدي بهذا النموذج هم النساء؛ إذ ضُربت امرأة فرعون رضي الله عنها ورحمها مثلًا للذين آمنوا في أن تكون في بيئة الفتن عليها أو فتن فيها شديدة وغالبة، والإنسان فيها لا يستطيع أن يقوم بدينه، ثم هو بعد ذلك صابر محتسب ثابت ويسأل الله سبحانه وتعالى النجاة وحسن العاقبة.

---

[223] [التوبة:71].

[224] [التحريم:11].

- **الأحاديث بالباب والتعليق عليها:**

99. عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال : قالت النساء للنبي ﷺ: "غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِن نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وأَمَرَهُنَّ، فَكانَ فِيما قَالَ لهنَّ: ما مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِن ولَدِهَا، إلَّا كانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ فَقالتِ امْرَأَةٌ: واثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: واثْنَتَيْنِ"[225] أخرجه البخاري ومسلم.

100. عن عائشة رضي الله عنها قالت: "نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الحَيَاءُ أنْ يَتَفَقَّهْنَ في الدِّينِ"[226] أخرجه مسلم.

101. عن أبي موسى رضي الله عنه قال: "ما أُشكل علينا أصحاب ﷺ حديثٌ قطٌ فسألنا عائشة إلَّا وجدنا عندها منه علمًا" [227] أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب.

102. عن الرُّبَيِّع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: "كُنَّا نَغْزُو مع النبيِّ ﷺ، فَنَسْقِي القَوْمَ، وَنَخْدُمُهُمْ، وَنَرُدُّ الجَرْحَى وَالقَتْلَى إلى المَدِينَةِ"[228]. رواه البخاري.

103. عن أم عطية الأنصاريّة رضي الله عنها قالت: "غَزَوْتُ مع رَسولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، أَخْلُفُهُمْ في رِحَالِهِمْ، فأصْنَعُ لهمُ الطَّعَامَ، وَأُدَاوِي الجَرْحَى، وَأَقُومُ علَى المَرْضَى" [229].أخرجه مسلم.

104. عن عائشة رضي الله عنها في قصة الهجرة قالت: "بيْنَما نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ في بَيْتِ أبِي بَكْرٍ في نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قالَ قائِلٌ لأبِي بَكْرٍ: هذا رَسولُ اللَّهِ ﷺ مقبلًا مُتَقَنِّعًا، في ساعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينا فيها، فقالَ أبو بَكْرٍ: فِداءٌ له أبِي وأُمِّي، واللَّهِ ما جاءَ به في هذِه السَّاعَةِ إلَّا أمْرٌ، قالَتْ: فَجاءَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ فاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ له فَدَخَلَ، فقالَ النبيُّ ﷺ لأبِي بَكْرٍ: أخْرِجْ مَن عِنْدَكَ. فقالَ أبو بَكْرٍ: إنَّما هُمْ أهْلُكَ، بأَبِي أنْتَ يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: فإنِّي قدْ أُذِنَ لي في الخُرُوجِ فقالَ أبو بَكْرٍ: الصَّحابَةَ بأَبِي أنْتَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ قالَ أبو بَكْرٍ: فَخُذْ -بأَبِي أنْتَ يا رَسولَ اللَّهِ- إحْدَى

---

225 [أخرجه البخاري: 101، ومسلم: 2632].

226 [أخرجه مسلم: 332].

227 [أخرجه الترمذي: 3883].

228 [رواه البخاري: 2883].

229 [أخرجه مسلم: 1812].

راحِلَتَيَّ هاتَيْنِ، قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: بالثَّمَنِ. قالَتْ : فَجَهَّزْناهُما أحَثَّ الجِهازِ، وصَنَعْنا لهما سُفْرَةً في جِرابٍ، فَقَطَعَتْ أسْماءُ بنْتُ أبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِن نِطاقِها، فَرَبَطَتْ به علَى فَمِ الجِرابِ، فَبِذلكَ سُمِّيَتْ ذاتَ النِّطاقِ"[230] . أخرجه البخاري.

105. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ، كانَ يَخْرُجُ يَومَ الأضْحَى، وَيومَ الفِطْرِ، فَيَبْدَأُ بالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّى صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ، قَامَ فأقْبَلَ علَى النَّاسِ، وَهُمْ جُلُوسٌ في مُصَلَّاهُمْ، فإنْ كانَ له حَاجَةٌ ببَعْثٍ، ذَكَرَهُ لِلنَّاسِ، أَوْ كَانَتْ له حَاجَةٌ بغيرِ ذلكَ، أَمَرَهُمْ بهَا، وَكانَ يقولُ: تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا، وَكانَ أَكْثَرَ مَن يَتَصَدَّقُ النِّسَاءُ"[231]. أخرجه مسلم.

تعليق الشيخ: نعم هذه الأحاديث فيها إثبات أن المرأة في زمن النبي ﷺ كان لها دور في قضايا العلم، وفي قضايا العناية بتلقيه وبطلبه وبحضوره، بل قد تصل أو وصلت بعض النماذج إلى مرحلة متقدمة فيه؛ بحيث أن هذه المرحلة صارت فيها عائشة رضي الله عنها بين الصحابة متقدمة بحيث أنه إذا أشكل على أصحاب محمد ﷺ شيء فإنهم يرجعون إليها ولا يرجعون إليها في شيء أشكل عليهم إلا ووجدوا عندها منه علم رضي الله عنها وأرضاها.

الحديث الأول طبعًا حديث أبي سعيد فيه طلب أن يكون هناك يوم للاستماع من النبي ﷺ، الثاني في إثبات حرص النساء على السؤال والاستفتاء من النبي ﷺ، والثالث في إثبات تحصيل عائشة وتقدمها، ثم بعد ذلك ننتقل إلى الأدوار الأخرى؛ فبعض الصحابيات كان لهن دور في نصرة النبي ﷺ وأصحابه في مواطن لم يكن عليهن فيها جهاد واجب –فرض– وإنما شاركن في ذلك من باب السعي في نصرة الإسلام والمسلمين بما يمكن وبما يستطاع، ولا شك أن هؤلاء اللاتي شاركن لم يكنّ يعني في يقفن في الصفوف المتقدمة ولا في الصفوف مثل الرجال مع النبي ﷺ ويقاتلن ويتقدمن ويعملن الكر والفر لا. وإنما كنَّ فيما يمكنهن عمله اللي هو في قضية المداواة للجرحى يسقونهم ويعينون كذا –وإن كان روي عن بعضهن المشاركة في شيء من الدفع وخلنا نقول المقاتلة لكن ليس على سبيل خلنا نقول الابتداء والمشاركة في الصفوف وما إلى ذلك.

---

230 [أخرجه البخاري: 3905].

231 [أخرجه مسلم: 889].

هنا الرُّبيّع وأم عطية و هذان الحديثان هما أشهر الأحاديث في هذه القضية و إن كان هناك غير هذين الحديثين، فعائشة رضي الله عنها أيضًا شاركت فاطمة رضي الله عنها أيضًا شاركت في أُحد و كانت داوت النبي ﷺ "كُنَّا نَغْزُو مع النبيِّ ﷺ، فَنَسْقِي القَوْمَ، وَنَخْدُمُهُمْ، وَنَرُدُّ الجَرْحَى وَالقَتْلَى إلى المدِينَةِ"، وكذلك حديث أم عطية وتكرار هذا العمل: "غزوت مع رسول الله ﷺ سبعة غزوات -وهذا الحديث في مسلم- أخلفهم في رحالهم أصنع لهم الطعام أداوي الجرحى أقوم على المرضى"، وهذا التكاتف والتآزر بين المؤمنين والمؤمنات أمر مهم وضروري أن يكون موجودًا في الواقع؛ بحيث، أنه يعني من كانت من النساء تستطيع أن تقدم شيئًا للإسلام والمسلمين بالدعوة إلى الله، بنصرة الحق، بدفع الباطل، بما يمكنها، بما يليق بحال المرأة، بما لا يهتك لها سترًا، بما إلى آخره فهذا من جملة ما يمكن الاقتداء به في مثل هذه الروايات والأحاديث.

ثم بعد ذلك في الحديث الأخير هو موافق لشيء في الباب وهو في الجملة الثانية في الباب، وهي في عنايتها بأبواب الخيرات ومسارعتها إلى العمل، أين موضوع الشاهد؟

موضوع الشاهد: "وَكانَ أَكْثَرَ مَن يَتَصَدَّقُ النِّسَاءُ"

هذا في زمن النبي ﷺ هذا موافق لقضية -مسارعتها إلى العمل-، وينبغي أن تحافظ المرأة على مثل هذه الأسبقية وعلى مثل هذه العناية وعلى مثل هذه المبادرة في أن يكون لها الدور والحرص على الامتثال والحرص على الاستجابة والحرص على المبادرة إلى الخير والطاعات.

مراجعة ما تمَّ في المجلس الأول.

طيب بهذا نختم هذا المجلس، وإن شاء الله يُتبع بمجلس آخر، و ذاك المجلس الآخر إن شاء الله سننهي فيه الكتاب إن يسّر الله، بحيث يعني يقسم الكتاب على مجلسين نحمد الله سبحانه وتعالى ونثني عليه ونستغفره من ذنوبنا ونسأله سبحانه وتعالى القبول والبركة، ونسأله سبحانه وتعالى التوفيق والثبات، ونسأله سبحانه العون والمدد.

والحمد لله التقلب بين آيات الكتاب العزيز وبين أحاديث النبي ﷺ وسيرته وهديه المنتظمَة في هذه الأبواب المرتبة المتعلقة بالإنسان المسلم الذي يسير في هذا الزمان

متطلبًا الثبات متطلبًا الاستقامة متطلبًا نفع الإسلام والمسلمين، هذه الآيات وهذه الأحاديث انتُظمت في هذه الأبواب ورُتبت لتكون معالم للطريق ومنابر للهداية يهتدي بها الإنسان المسلم.

ابتدأنا بمرجعية الوحي وتثبيتها وتعظيمها وأنها مقياس، وتُضبط بها الأفهام وتنشأ من خلالها المعايير، وأنه تُعظّم، والخوف من عدم التعظيم، ثم نأتي إلى قضية فقهية في أن الدين على مراتب في الأمر والنهي، ثم ننتقل بعد ذلك إلى بيان بعض المركزيات الأساسية المهمة المنبثقة عن قضية مراتب الدين وتفاوت هذه المراتب في الأمر والنهي والخبر؛ فأتتنا مركزية التزكية والعلم ومركزية العمل، وبعد ذلك انتقلنا إلى إيش؟ قضية صدق النية واستحضار الغاية والحذر من مزاحمة الغاية الشريفة بالمطالب الدنيئة وهذا من جملة ما يدخل في التزكية وكذا، ثم بعد ذلك انتقلنا إلى قضية تحمّل المسؤولية، وأول شي ترتيب تحمّل المسؤولية "المسؤولية الذاتية" –مسؤولية الإنسان في نفسه– ثم بعد ذلك انتقلنا إلى تحمل المسؤولية العامة، ثم بعد ذلك فضل الدعوة والإصلاح و صفات المصلحين ، مركزية هدي الأنبياء في الواقع الإصلاحي، ثم بعد ذلك في أهمية الوعي بسبيل المجرمين، ثم في العناية بالشباب و العناية بالمرأة وكلها منتظمَة تحت العنوان الثاني في الكتاب؛ من الباب التالي الذي إن شاء الله سنبدأ به في اللقاء القادم.

عن سير المجلس الثاني.

سننتقل من موضوع الإصلاح والتأثير والنفع العام سنرجع مرة أخرى إلى قضية الثبات على الاستقامة، فالباب التالي هو باب في الثبات على الاستقامة والحذر من الانتكاس، وهذا الباب هو متعلق متعلقًا يعني بصميم موضوع الكتاب –اللي هو قضية الثبات على الاستقامة والحذر من الانتكاس–، ثم ستستمر الأبواب في قضية العناية الذاتية؛ حتى على الاعتدال في الدين والتيسير ، ثم بعد ذلك مركزية حسن الخلق والبر والإحسان، ثم بعد ذلك الهداية والبصيرة كل هذه في الاستقامة الذاتية في الثبات، ثم بعد ذلك الصحبة الصالحة وفضل الحب في الله هذه أيضًا من المعينات على الاستقامة، ثم الحذر مما يخالفها؛ الحذر من الفتن وما يُخشى على الصالحين، بعد ذلك نرجع إلى الواقع مرة أخرى في فهم أسباب ضعف المسلمين، بعد ذلك السنة الإلهية والابتلاء والتمكين وما إلى ذلك.

فيعني يعيد الإنسان التذكير بأهمية هذه الأبواب وأهمية هذه المعاني وإن الإنسان يعني ما جمع هذه الأبواب وهذه الأحاديث والآيات إلا لتكون تطبيقًا عمليًا لفكرة كبرى يسعى الإنسان لترسيخها؛ وهي فكرة تفعيل مرجعية الوحي في الواقع المحتاج إليه، وأن الوحي أتى للهداية وأن الهداية ليست متعلقة بالحلال والحرام والأحكام المباشرة المنصوص عليها، وإن من أهم صور الهداية التي جاء بها الوحي الهداية العامة المتعلقة بالأمة الإسلامية، والمخرج مما تقع فيه من الفتن وأن هذا من موضوعات الوحي، وإن من صور الهداية هي هداية الإنسان في طريقه إلى الله سبحانه و تعالى من جهة ثباته ومن جهة تجاوز العقبات و من جهة بنائه الإصلاحي و كيف يصل إلى أن يكون من الهداة المؤثرين النافعين المصلحين المهتدين بهدي الأنبياء.

فالكتاب جُمع لذلك والآيات والأحاديث التي فيه جُمعت لذلك، والإنسان حقيقة لا يفتأ يكرر هذه المعاني ويعيد ويبدي فيها من اليمين ومن الشمال ومحاولًا مبديًا معيدًا مكررًا لترسخ هذه المعاني وتتأكد وأن الإنسان يتبنى قضية ضرورة وجود ثقافة عامة مشتركة بين كل المهتمين والعملين ومن يحمل هم الإسلام في العناية بهذه الأبواب.

بهذه الأبواب تحديداً ما يتعلق بهدي الأنبياء الإصلاحي، صفات المصلحين صفات الحمَلة تحمُّل مسؤولية العامل للإسلام والمسلمين وما إلى ذلك، تعزيز مرجعية الوحي وما إلى ذلك من الأبواب فهذا هو الموجب.

الخاتمة.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك وأن يتقبل، ونسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية والفضل يلتمس منه، والخير يلتمس منه سبحانه وتعالى ، والبركة تلتمس منه، والعفو كذلك، ونسأل الله سبحانه وتعالى القبول إنه سبحانه وتعالى هو السميع العليم وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والله في عون العبد
ما كان العبد في عون أخيه

